المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

قصيدة رحلة
في موكب الجمال لصالح الزهراني -مقاربة تداولية

**The Poem "Journey in Procession of Beauty"
by Saleh Al-Zahrani, a Pragmatic Approach**

بقلم الدكتور

سامي بن صالح يحيى الغامدي

أستاذ الأدب والبلاغة المساعد ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والفنون
بجامعة بيشة ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولي/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

قصيدة رحلة في موكب الجمال لصالح الزهراني -مقاربة تداولية

سامي بن صالح يحيى الغامدي

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والفنون ـ بجامعة بيشة ـ المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ssalghamdi@ub.edu.sa

الملخص

موضوع البحث: قصيدة رحلة في موكب الجمال لصالح الزهراني – مقاربة تداوليّة.

أهدافه: يهدف البحث إلى مقاربة تداولية على القصيدة المشار إليها؛ لسبر أغوار المستوى التداولي، وكشف نقاب أبعاده الوظيفية والسياقية والإنجازية، أما منهجه فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، ويتكون البحث من: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، فالمبحث الأول: الإشاريات، والثاني: الاستلزام الحواري، والثالث: الأفعال الكلامية.

ومن نتائجه: أن هذه القصيدة نص تداولي، حققت أغراض الشاعر تأثرا وتأثيرا، وأنجزت مقاصده بمعونة المقام التواصلي، ومما يوصي به البحث: دراسة القصيدة من خلال الحجاج، وتجليات الذات والآخر، وبنية الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحية: رحلة موكب الجمال، صالح الزهراني، مقاربة تداولية.

The Poem "Journey in Procession of Beauty" by Saleh Al-Zahrani, a Pragmatic Approach

Sami bin Saleh Yahya Al-Ghamdi
Department of Arabic Language, College of Arts and Letters, University of Bisha, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: ssalghamdi@ub.edu.sa

Abstract

Title of the Study: The Poem "Journey in Procession of Beauty" by Saleh Al-Zahrani, a Pragmatic Approach

Objectives of the Study: the aim of the current study is to provide a pragmatic approach to the aforementioned poem, so as to explore the depths of the pragmatic level, and unveil its functional, contextual, and achievement dimensions. The study adopted the inductive and analytical method.

The study consists of, an introduction, a preface, and three sections; the first section deals with the indicative forms; the second section deals with conversational implicature, and the third section deals with speech acts.

The results of the study include, this poem is considered a pragmatic text, as it fulfilled the poet's purposes either affected or influential, and accomplished his goals with the help of the communication setting. The study reached the following recommendations; the poem should be studied through arguments; the manifestations of self and other, and the structure of time and place.

Keywords: Journey Procession Beauty, Saleh Al-Zahrani, Approach Pragmatic.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد الدراسات اللسانية الحديثة في مجالات التحليل الأدبي ذات ازدهار نوعي، وكان من نتائجها نظرية حديثة تعرف بـــ "التداولية"، التي تعود منابت نشأتها إلى اتجاه الفلسفة التحليلية، وهو الاتجاه الأساس في الفلسفة المعاصرة وجوهرها اللغة، أما نقطة انطلاق "التداولية" فقد جاءت على يد العالم تشارلز موريس Charles Morris (١٩٣٨م)، الذي حصرها ضمن مجال السيميائيات وتحدرت منها ثلاثة فروع: علم التراكيب، وعلم الدلالة، وعلم التداولية، والأخير؛ اهتم به عالمان أوستن وسورل، وسيأتي الحديث عنهما.

ولما كانت هذه الدراسة على قصيدة "رحلة في موكب الجمال" مقاربة تداولية، فسيحظى البحث بالكشف عن المنطوق الإنجازي والتأثيري للذات المتكلمة –صالح الزهراني–، وعلاقتها بالذات المتلقية، بصحبة السياق وإنجازية المتكلم لأفعال اللغة، واستنهاضها بتأثيره في المتلقين بلغة مشتركة، كما أن للقصيدة خصوصية الإيقاع الداخلي والخارجي، واحتوائها الوزن في شدة الرَّوي اليائية، ومواءمة البنية الكلية للنص لمقاصد الباث، وهذه البنية النصية تكتنز طرائق بلاغية، وإشاريات، واستلزامات حوارية، وأفعال كلام تأثيرية، وطرائق استراتيجية محكمة ومترابطة، حتى يدرك المرسل إليه رسالة المرسل فيقع الأثر.

مشكلة البحث

سيسعى البحث من أجل الإجابة عن تساؤلات جوهرية هي:

ما تلك الرحلة؟ وأين كانت؟ وما الهدف منها؟ وما هو موكب الجمال؟ ولماذا اختيرت المقاربة التداولية؟ وينبثق عنها أسئلة فرعية:

أ- مع التوسل الإشاريات بأنواعها هل حققت القصيدة أطراف العملية التواصلية مهمة العملية الحوارية؟ وهل المقياس الشخصي الشعوري يختلف عن المقياس الزماني والمكاني؟

ب- ما المعاني المستلزمة حواريا، وهل تم توظيفها بشكل تداولي من خلال خرق مبدأ التعاون؟

ت- أكان ثمة دور للأفعال الكلامية واللغة المشتركة بين المتكلم والمخاطب؟ وما علاقتها بالسياق؟

ث- وأخيرا؛ في ظل الغرض التداولي؛ هل كانت رسالة صاحب هذه الرحلة ذات أبعاد ومقاصد؟

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى مقاربة تداولية على هذه القصيدة؛ لسبر أغوار المستوى التداولي، وكشف نقاب أبعاده الوظيفية والسياقية والإنجازية؛ وسماع بوح مبدعها، ومقصد صانعها، والارتباط الكامن في رمزية رحلة الشاعر الروحية عبر التاريخ؛ لترسم الخطوط العريضة في موكب الجمال، لسيرة خير الأنام -صلى الله عليه وسلم-، لذا كان على الباحث أن ينعم النظر؛ ليرصد الخطاب البلاغي التداولي المتدثر في جماليات هذا النص الآسر، ويشرك المتكلم -الشاعر- المتلقين برؤيته الإيحائية، ويربط السياق بالمتكلم وبالنص والمخاطب تأثرا وتأثيرا؛ لذا؛ وسمت هذا البحث بـ(قصيدة رحلة في موكب الجمال لصالح الزهراني -مقاربة تداوليّة).

أهمية البحث

تظهر أهمية هذا الموضوع في تضمين القصيدة بعدا تداوليا، وعوالم ضبابية من الدلالات الراسبة، والأيدلوجية الضمنية التي تختفي خلف أبنية

مجازية وإيحائية، وترتسم بداخلها أشكالا شعرية تخيلية، مع تفنن الشاعر –الزهراني– وإخضاع قصيدته لفاعلية العدول، وخرق العلاقات بين المنطوق والمفهوم، والتكثيف الترميزي، والكتل البلاغية الملتبسة والمبهمة، وبناء على هذا؛ فالقصيدة بحاجة إلى تحليل يستجلي تداوليتها، ويبين صنعتها على نور من مقاصدها وسياقاتها ومقاماتها الوظيفية.

وأما سبب اختيار الموضوع؛ فإن القصيدة تناولت شمائل نبينا الكريم –صلى الله عليه وسلم، ولحتمية الخطابات والنصوص الأدبية عامة، وهذه القصيدة –خاصة– التي تتأرجح بين الدلالات الحرفية القائمة على السردية المكشوفة والظاهرية، والتأويلات السياقية المبنية على الإشارية، والايحائية، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية الإنجازية، وبالتالي احتوى نص القصيدة في أكنافه اتجاهات تداولية بسياقاتها الإحالية، والوظيفية، والإنجازية، مما يدفع بالباحث إلى استكشافها، ورصد تلك الأبعاد التداولية.

الدراسات السابقة

لم أقف على أيِّ دراسة –تداولية أو غير ذلك– تعرضت لهذه القصيدة، فقد نُظمت عام ١٤٣٧هـ[١]، والشاعر هو من بعثها إليّ وأشار بدراستها فلم ينشرها إلا الآن، فجزاه الله عن الأمة العلمية خير الجزاء.

وجدير بالذكر؛ فإن الدراسات السابقة كنماذج أدبية لمقاربات تداولية في محورها العام كثيرة جدا، وليس في عرضها غناء للبحث ولا نماء.

منهجية البحث

استدعت طبيعة الموضوع أن يسير بمعية الاستقراء التحليلي للقصيدة؛ لحلِّ الإيمائية التأشيرية، واستنطاق السياق التواصلي، وسبر الاستلزامات

(١) القصيدة كاملة في ملحق الدراسة ص٤٦– ٤٨.

الحوارية، وسرد الحجة، وإبانة العلة، وكشف مقاصد الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، و سيكتفي الباحث –متألما مستغفرا– بذكر (الرسول الكريم)؛ فكلمات الصلاة عليه محسوبة على كلمات البحث العلمي الحديث، وقد تُقدّم بعض الضمائر على بعض لصلتها بالسياق المناط بها –كالتاء المتحركة و[أنت]–، ولن يتعرض البحث في القصيدة لأمور من التداولية كتفاصيل المفاهيم التداولية والإشاريات الاجتماعية، وبعض الضمائر –ككاف الخطاب إلا في أسطر معدودة– والافتراض المسبق؛ طلبا للإيجاز، وأما منهجية الاستشهاد الشعري فمتنوعة وفق أنساق مختلفة وما تقتضيه طبيعة البحث:

- الاستشهاد بأبيات تامة مستوفية الشطرين.
- الاستشهاد بشطر واحد منفرد.
- الاستشهاد بأشطر من أبيات مختلفة، ويكون كل شطر في سطر مستقل.
- الاستشهاد بكلمات منفردة.
- وقد يستغنى عن ذكر الشاهد الشعري ويتم الاكتفاء برقم البيت.

خطة البحث

يتكون البحث من تمهيد وثلاثة مباحث يسبقهما مستخلص ومقدمة، ويتبعها خاتمة وفهرس المصادر والمراجع وملحق الدراسة، وفق التصور الآتي:

- المقدمة: تناولت أهمية البحث وسبب اختياره، والهدف منه، وأسئلة البحث، والدراسات السابقة، والمنهج، والخطة.
- التمهيد:
  - أولًا: التعريف بالشاعر والقصيدة.

- ثانيًا: مفهوم المقاربة التداولية
- المبحـــث الأول: الإشاريات
  - المحور الأول: الإشاريات الشخصية
  - المحور الثاني: الإشاريات الزمانية
  - المحور الثالث: الإشاريات المكانية
- المبحـــث الثاني: الاستلزام الحواري
  - المحور الأول: مفهوم الاستلزام الحواري
  - المحور الثاني: الجملة الخبرية والمعاني المستلزمة حواريا
  - المحور الثالث: الأساليب الإنشائية والمعاني المستلزمة حواريا
- المبحـــث الثالث: الأفعال الكلامية
  - المحور الأول: مفهوم الأفعال الكلامية
  - المحور الثاني: الأفعال الإنجازية
  - المحور الثالث: عناصر القوة الإنجازية اللغوية وغير اللغوية
- الخاتمة، والمصادر والمراجع وملحق الدراسة –القصيدة–

التمهيد

أولًا: التعريف بالشاعر والقصيدة.

الشاعر الأستاذ الدكتور صالح بن سعيد الزهراني.

شاعر وأكاديمي سعودي، من مواليد منطقة الباحة ١٣٨١هـ، يعمل أستاذًا بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

- الجوائز التي حصل عليها، ومنها؛ جائزة التميز في البحث العلمي بجامعة أم القرى ١٤٢٣هـ، وجائزة امرئ القيس للإبداع الشعري ١٤٣٦هـ، وشخصية العام الثقافية بمنطقة الباحة ١٤٣٥هـ.
- الإنتاج الشعري: ثمانية دواوين مطبوعة، والتاسع (الحزن هذا ليس لي) الذي منه القصيدة (تحت الطبع)، ومن تلك الدواوين؛ فصول من سيرة الرماد ١٤١٩هـ، وحارس الكلأ المباح ١٤١٩هـ، وأبكم مهمّتُه الكلام ١٤٣٤هـ.
- الدراسات التي كتبت عنه كثيرة؛ ومنها؛ حجب البوح دراسة في الرؤية والتشكيل والتلقي في شعر صالح الزهراني. د. طارق شلبي، ورثائيات الفارس المغيب ومقوماتها الفنية في شعر صالح الزهراني. د. كاميليا عبد الفتاح، وقراءة ثقافية مغاربية في شعر شاهد العصر صالح الزهراني. أ.د. سعيد الغزاوي.
- الإنتاج العلمي كثير؛ ومنه؛ الغموض والبلاغة العربية، وبلاغة الرؤيا الشعرية، والإيقاع والدلالة[١].

---

(١) ينظر: دارة الملك عبد العزيز، "قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية"، (ط١، الرياض: وزارة الثقافة والإعلام،٢٠١٥م)، الجزء٢، حرف: الصاد؛ فهد مرسي البقمي، "شعر صالح الزهراني دراسة في المضامين والأساليب"، رسالة ماجستير غير منشورة، (د ط، الأردن: جامعة مؤتة،١٤٢٨هـ)، ص٣-٨؛ موقع ويكيبيديا "الموسوعة الحرة".

التعريف بالقصيدة:

سطر الشاعر هذه القصيدة غرة المحرم، عام ألف وأربع مائة وسبعا وثلاثين للهجرة، وبلغت أبيات القصيدة (٥٦) بيتًا، وبلغ عمر الشاعر-حينئذ- (٥٦) عاما، وفي رمزية عمر الشاعر قوله: (خمسين عاماً) حديث عن غرق حروفه الشعرية التواقة، فقال:

غَرِقَتْ في الجمالِ خمسين وأحاطت به هَوىً وهُويّة

أما مناسبتها؛ فحنين المشاعر الدينية لدى الشاعر تجاه الرسول الكريم، التي لا يمكن وصفها، وتأسيًا بشعراء المدائح النبوية في موكبه الروحي الجميل، وغزارة معاني الحب النبوي، في صورة -أزعم- أنها أرحب من حب الشعراء السابقين، معبرًا عن ضمير نفسه الحي، وهموم الأمة الإسلامية والعربية، فقد أخذ بالتاريخ يشد زمامه إلى منحى جديد ساطع؛ ليربط جيله الحالي بذلك الجيل الماسي، ويبث الحياة الكريمة للإنسان، بعيدًا عن الظلم، والانهزام، والجهل، والذلة، والمسكنة، التي باتت جزءا مما شكا منه في القصيدة.

ثانياً: مفهوم المقاربة التداولية

عند التأمل بنظرة موجزة في المقاربة التداولية Pragmatics، فهي العلم التواصلي والإبلاغي في الاستعمال اللغوي، تلك الرؤية البلاغية النقدية التي تتناول مجالات أدبية في ضوء تداوليات لسانية، وتربط المقاربة التداولية بالسياق التواصلي للنص الأدبي، كما أنها تهتم بأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، ومتضمنات القول، وتولي اهتماما كبيرا بالمقصدية الوظيفية، فيتضح جليا أن التداولية تخطّت سؤال البنية والدلالة، واعتنت بالرسالة والوظيفة والسياق، وفي آكدية المقام والسياق في البلاغة العربية ألمح

د. محمد العمري أن البلاغة العربية بعمقها وشموليتها؛ عندما خاطبتها الأسئلة البلاغية الحديثة وجدتها محاورا تثير الدهشة[١]،كما حفلت المقاربة التداولية بالعلاقة الحتمية بين المتكلم والمخاطب[٢]، ومن هذا المنطلق تُسمى أيضاً بالمقاربة التواصلية، أو المقاربة البراجماتية، أو المقاربة الوظيفية.

(١) ينظر: مسعود صحراوي، "التداولية عند علماء العرب". (ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)، ص١٥- ١٧. جميل حمداوي، "من الحجاج إلى البلاغة الجديدة". (ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م)، ص٩٣-٩٧.

(٢) ينظر: محمد العمري، "البلاغة العربية أصولها وامتدادها". (ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م)، ص٢٩.

المبحث الأول: الإشاريات

الإشارية –مفرد الإشاريات وهي المؤشرات Indexicals–، من قولهم: «وأَشار إِليه وشَوَّر: أَومَأَ، يكون ذلك بالكفِّ وَالعين والحاجب، وشَوَّر إِليه بيده أي أشار؛ عن ابن السِّكِّيت، وفِي الحديث: كان يشير في الصلاة؛ أي يُومِئ باليد والرأس أَي يأمر وينهى بالإشارة»(١) والقصد من ذلك إفهام المتلقي بالعناصر الإشارية في العملية التواصلية.

وتعريف الإشارة reference اصطلاحًا هو «فعل يستعمل فيه متكلم، أو كاتب، صيغا لغوية؛ لتمكين مستمع ما، أو قارئ، تحديد شيء ما»(٢)، فأسماء الإشارة والضمائر «من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطابي التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلا أنه مرجع غير ثابت»(٣)، وعلى ذلك تنكشف الدلالة بمجرد النطق بذلك الخطاب التداولي في ذلك المقام الذي استخدمت فيه، فالعلاقة بين الإشاريات والمسميات علاقة سياقية، بعيدًا عن علاقة التلازم بين الدال والمدلول، فبالتالي تعتبر الإشاريات من أكثر الوحدات اللغوية المرتبطة بالسياق، وقد جُعلت هذه الوحدات التأشيرية في المقام الأول لفهم بعضنا البعض، فبدونها سيحل الغموض، وينحسر الفهم، ويتعسر الإدراك لتلك الأشياء المشار إليها، ولذلك جعلها لفنسون في التداولية أكثر منها في علم الدلالة(٤).

---

(١) محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م)، ٨: ١٦٠، مادة (ش و ر).

(٢) جورج يول، "التداولية". ترجمة: د. قصي العتابي. (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م)، ص:٣٩.

(٣) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية". (ط١، بنغازي: دار الكتاب، ٢٠٠٣م)، ص:٨٠.

(٤) ينظر: محمود أحمد نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر". (ط١، مصر: دار المعرفة الجديدة، ٢٠٠٢م)، ص١٧.

والمتأمل في أقسام الإشاريات يجد أنه لم يتفق الباحثون على تقسيماتها، فبعضهم جعلها في خمسة أضرب؛ شخصية ومكانية وزمانية واجتماعية ونصية، وبعضهم جعلها في أربعة أقسام أو ثلاثة(١)، وسيتناول البحث الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية فقط.

المحور الأول: الإشاريات الشخصية

يستعمل المتكلم إشاريات تلائم سياق خطابه، وبالتالي «تعد الضمائر (أنا)، (أنت)، (هو)، وإشاريات (هذا)، (ذاك)، (الآن)، تعابير تختلف إحالتها بالضرورة، بحسب ظروف استعمالها، أي وفقًا لملفوظها في السياق»(٢)، فبين المرسل والمتلقي رسالة لغوية يسعى المتلقي لفهمها؛ لتعين على معرفة مقصد المتكلم، ومن الإشاريات الشخصية الضمائر، والتي تسعى لربط نسيج البينية الغائرة للخطاب الشعري، فالشاعر قام باستحضار المخاطب –الرسول الكريم– فخاطبه وكأنه واقف أمامه، ثم إن ضمير المتكلم أو المخاطب ليس شرطًا أن يكون [أنا] أو [نحن] أو [ناء] الدالة على الفاعلين أو المفعولين الحاضرة في القصيدة فقط، بل [تاء] الفاعل و[ياء] المتكلم، والضمير المنفصل [أنت]، و[كاف] الخطاب، ضمائر إشارية لها أغراضها التداولية في الحوار سواء أكان المخاطب أم المتكلم، ومن ذلك قول الشاعر:

الرُّؤى في مداك لا أدريّه والمعاني سحائب عطريَّة
والحروف التي نمت في فؤادي وتدلّت قصيدة شعريّة

ويتمثل ضمير [ياء] المتكلم المفرد المتصل، والذي يحيل إلى الشاعر أصالة، ويزيد من ذلك في وظيفته عمقًا تواصليًا لروح تخاطب روح، فقد

(١) ينظر: يول، "التداولية". ص:٢٧.

(٢) فرانسواز أرمينكو، "المقاربة التداولية". ترجمة: سعيد علوش. (د ط، الرباط: دار الإنماء القومي، ١٩٨٦م)، ص:٤١.

استحضر حوارًا مع الرسول الكريم عندما جمع الرُّؤى، ومفردها رؤية وتكون بالعين والقلب، لتنظر لهذا المدى الواسع لفضاء النبي الكريم بكل ما فيه من جمال، فقد ذابت روح الشاعر شوقًا ولهفة في مطلع قصيدته، ونفى أن يستر ذلك الجمال بعد انتشاره، فقامت جارحة الرؤية لتغطي ذلك الاستبصار المستقبلي، ثم ألحقه بـ[اللام] النافية مع الفعل المضارع المتأخر (أدريه)؛ ليدل على أن الرؤية لا تحجبها الأسماء ولا تغطيها الأفعال، فانطلقت المعاني ترتفع حتى كأنها (سحائب) لكثرتها، ولم يقل (سحب) لدلالتها على القلة، فهذه السحائب مملؤة عطر السير النبوية، ثم إن المعاني تلك مكونة من حروف نشأت وتدفقت من ماء قلب الشاعر المحب للرسول الكريم، فصوّر بذلك الحوار الدافئ وتلك الرُّؤى إلى أبعد ما تراه العين، فاسترخت قصيدة شعرية مكونة من خيال وعاطفة وألفاظ ومعان، تحكي عملية تواصلية بفعل [ياء] المتكلم في كلمة (فؤادي) التي وقعت في محل الجر بالإضافة، تحيل إلى ذات الشاعر نفسه، وتشير إليه تحديدًا بالسبب الحقيقي الذي جعله ينظم هذه القصيدة، ويروي لنا رحلة روحية في موكب الجمال.

ثم يتراءى للشاعر وقوفه بين يدي الرسول الكريم فيخاطبه بالفعل الطلبي:

خذ حروفي يا سيدي واحتضنها ... فك أغلالها إلى الأبديّة

انتزع طينها لتصبح طيرًا ... لا يعاني أثقاله الطينيّة

فيطوع نفسه للعمل تحت ذلك الجناح بالكلمة، بل بالحرف من الكلام المنظوم أو المنثور، لا يهم ذلك؛ بل الأهم هو العمل تحت ذلك الكنف الشريف، فبادر بتقديم حروفه على هيئة المجاز المرسل، في قوله: (خذ حروفي)، فأطلق الجزء وأراد الكل، أطلق حروفه وأراد الكلام، فالشاعر

فرض نفسه على رأس العملية التفاعلية التواصلية؛ باستخدام [يـــاء] المـــتكلم، فكل ما يدور بعدها يتعلق بها ويتقارب، فقد طلب منه أن يأخذ كلامه المتألف من حروف فيحتضنها، والقصد من ذلك نيل البركة المحمدية، وتوسط السياق جملة نداء معترضة مقرونة بـــ[ياء] المتكلم في قوله: (يا سيدي)(١)؛ لتخفـــف من حدية الأمر فتقلبه إلى تأدب وطلب، لأنه سيتتابع بالطلبات في هذين البيتين إلى خمسة أفعال طلبية: (خذ) (احتضنها) (فك) (انتزع)، فاكتســـب الشـــاعر بتأدبه بقوله: (يا سيدي) سلطة الخطاب؛ لأنه يرفض الذل والهوان في واقعـــه المعاصر، فرجع بذاكرته وكأنه يرى حسان بن ثابت –رضي الله عنه– بـــين يدي الرسول الكريم يطلب منه استلال نسب بني هاشم من قريش، فاستحضر ذلك الموقف وبدأ يعرض معجمه الكلامي للحروف التي ستكتسب كنفا نبويا، وجناحا محموديا، وتنفك عنها الأغلال تشعيبًا لمعجم الشاعر، أو قـــولا للحـــق الذي لا حق بعده إلى الأبد، ثم اقتبس الشاعر في قوله:

انتزع طينها لتصبح طيـــرًا

من معجزة عيسى –عليه السلام– في قوله تعـــالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [المائدة:١١٠]، وهو لا يريد النفخ فيها حقيقة، بل الشعراء لهم خيالاتهم وعواطفهم التي تقود إلـــى مثـــل تلـــك الصور البديعة، فأراد بانتزاع الخوف تبديل تلك الحروف وتغييرها، على هيئة الاستعارة التصريحية فحذف المشبه (الحرف) وصرّح بالمشبه به (الطيـــر)، فشبهها بطير النبي عيسى –عليه السلام– حتى تُحلّق شامخة في سماء الحرف الصدوق والكلمة الصادقة، تلك شراكة الشاعر في موكـــب الجمـــال ليجعـــل تضامنه لمقصده خطاب تحاوري حجاجي متوجًا بالحث والشوق والتحضيض،

(١) كررها في القصيدة مرتين: أنت يا سيدي الجمال تجلّى

فاكتسب الخطاب الشعري بسلطة [ياء] المتكلم خصائص حضور ذلك الموكب، في ظل سياق المتكلم وتلك العناصر الإشارية التي تتدخل في نسيج البنية الغائرة لذلك السياق، الذي يدنو من موكب الجمال فيبث حنينه وما يعبر عنه المقام.

وأما ضمير الجمع المتصل للمتكلمين، [ناء] الدالة على الفاعلين أو المفعولين، أو ضمير التملك، تدل على أغراض متعددة يفرضها السياق والمقام، ففي قوله:

وقريش في حقدها تتلظى وأشد اللظى لظى الجاهليَّة
يا أخانا خذ ما تشاء فتأبى والتأبِّي طبع النفوس الأبيَّة

صوّر الشاعر قصة مفاوضات قريش للنبي الكريم، وذلك أن عتبة بن ربيعة عرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنهم، قال: يا ابن أخي – وهذا هو الشاهد: "يا أخانا خذ ما تشاء"–، إن كنت إنما تريد مالا جمعنا لك من أموالنا، أو شرفا سودناك...الخ(١).

فليست ناء الفاعلين في النداء تقود للفخر والمحبة والاعتزاز، فقد هتك الشاعر ستر قلوبهم بقوله: (في حقدها)، فعبرت كلمة: (أخانا) عن حقد المتكلمين، فهي تُذكر بقول إخوة يوسف –عليه السلام– ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:١١]، فـ[ناء] الفاعلين في النداء لا تدل على نصحهم؛ لما انطوى قبل ذلك على عزمهم بإلقائه في الجب، ولعلها لفتة حسنة من الشاعر، فكان بين ما عرضت قريش –يا أخانا خذ ما تشاء– وما رُد عليهم من الآمال كما بين السماء والأرض، لعلم النبي الكريم بفاعلية ندائهم

(١) ينظر: محمد بن إسحاق، "السير والمغازي". تحقيق: سهيل زكار. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م)، ص:٢٠٧، بتصرف.

أنها محض حديث عابر، وإخاء تتلظى بجاهلية سحيقة ليس فيها النصح والخير، فكان الجواب بالإباء والرفض.

ثم تتراءى [ناء] فاعلية تبث الحب والشوق من المتكلمين تجاه الرسول الكريم:

طلع البدر فالمدينة عرسٌ والمساءات بهجة قدسية
ليلة في الزمان تكتب بدءاً لتواريخ حبنا الهجريَّة

بل أحدثت مشاركة تواصلية بين المتكلمين والمخاطب، فأضحت العلاقة التخاطبية بينهما ذات نقاء وصفاء، وتفترق عن [ناء] الجاهلية المشوبة بالغل والحقد والظلم، عندها شكّل الشاعر لوحة فنية مبهرة ليوم وليلة قدوم النبي الكريم المدينة، وقام أهلها جميعًا بالترحيب به، وهتفت الترانيم بمطلعه، وكأن الكون يهتف معهم: "طلع البدر"، وكان لهذا الحدث التاريخي مكانة عند المسلمين، فصاغه الشاعر بقوله:

ليلة في الزمان تكتب بدءاً لتواريخ حبنا الهجريَّة

يذكر بمقولة الفاروق –رضي الله عنه–: «الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرِّخوا بها»[1]، فأدت [ناء] الفاعلين وظيفتها التواصلية وسطرت رؤية الشاعر الروحية.

ثم ختم الشاعر أبياته بالتركيز على ذكر الضمير المتصل [ناء] الفاعلين أو المفعولين –عندما تتصل بالفعل–، لاهتمامها بالسياق التواصلي والتّلفظي بين المتكلم والمتلقي كقوله:

(١) أحمد بن حجر العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (د ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ٧: ٢٦٨.

ما قبلنا فيما تركتَ الدنيّة	كلُّ فردٍ منَّا لديه إناءٌ	وانكسارات جيلنا النفسيَّة
صيَّرتنا الأحقادُ سبعين طيفاً	من مآسي أوضاعنا الحاليَّة	فلقد صار دربُنا أُحجيَّة
ولقد طال تيهُنا، وتعبنا	كلُّنا في الذي يدورُ ضحيَّة	جئتنا رحمةً، ونوراً، وعدلاً
ولماذا يريدنا الله إنساً	أنت علَّمتنا نعيشُ كراماً	–

وعلى أي حال فقد أحدث في مقاربته التداولية في هذه الأبيات أغراضا مقصدية، من خلال الكلمات (قَبلْنَا، مِنَّا، جِيْلنا، صَيَّرتنا، أوْضَاعنا، دربُنا، تِيْهُنا، وتَعِبْنَا، كلُّنا، جِئْتَنا، يُريدنا، علَّمْتَنَا)، فـ[ناء] الضمير المتصل الجمعي، جاء متسقا ومنسجما في سياقاته الكلامية، يرمي عبر الإشارية الشخصية تداولية ذات أبعاد مقصدية في العملية التواصلية، مرتكزًا على البعد الحجاجي الإقناعي، والتأثير العاطفي والوجداني.

ومن الضمائر التي تحيل إلى ذات العملية التواصلية بين المتكلم والمتلقي [تاء] الفاعل، المرتبطة بالفعل، وتدل على ذات المخاطب –النبي الكريم– في كل المواضع إلا في موضع واحد، أشارت [تاء] الفاعل إلى ذات الشاعر أصالة في قوله:

يا ضياءَ الحياةِ جئتُك أشكو من مآسي أوضاعنا الحاليَّة

فأدت بذلك رسالة من مرسل وظيفتها الانفعال، وحدثت المقاربة التواصلية بالتأثير على المرسل إليه من خلال قناة اللغة الجمالية في شكوى الحال والأوضاع، وفيها التفسير والتأويل لغاية الشكوى في طلب النجم من منهجه القويم، جاءت على صورة تفسير وتأويل من الشاعر، فزخرت هذه الشكوى من خلال المقام في سياقاتها، وتداوليتها، وحجاجيتها، بكثير من المعاني والدلالات العميقة، المتوخاة من النص الفريد.

أما بقية المواضع فـ [تاء] الفاعل تدل على ذات المخاطب، وقد جاءت في عشرة مواضع، وعلى هيئة مقطوعات يتجلى التقسيم بارتباط المعاني السياقية، ففي الأولى:

...وإذا ما حُرمتَ.. أيُّ عطيّة؟	وإذا ما كسبتَ نفسَك يوماً...
احتملتَ الأذى بصبرِ نبيٍّ...	وبدأتَ الرحيلَ، والدَّمعُ يجري...

تتمثل المقاربة التواصلية في الأفعال الماضية مرتبط بها [تاء] الفاعل، فالفعل (حُرمتَ) فعل مبني للمجهول، وهو التفات من الشاعر وتأدب منه تجاه المولى –عز وجل–، ويرسل للمخاطب رسالة استفهامية، فحواها أن ما عند الله خير وأبقى، وأن العطاء والمنع من الله –عز وجل–، ولكنه استعار الحرمان للمنع تأدبا في جنب الله –تبارك وتعالى–، فكأن المنع والحرمان من نفس الإنسان، فالنبي الكريم قدَّم رضى الله –عز وجل– وقابل عرض قريش بالإباء، أثنى الشاعر على الموقف، فلا تساوي عطايا البشر عطية واحدة من الله –عز وجل.

أما الأفعال الماضية –الثلاثة الأخرى– فكانت للمعلوم، والمخاطب ذات النبي الكريم، والمتكلم هي ذات الشاعر، وتؤدي [التاء] وظيفة الفاعلية، تتظافر هذه الأفعال لتقارب مقصديتها؛ هي أن من يبيع نفسه ويتنازل عن مبادئه يلحقه الخسران، فحقق فعل (كسبتَ) وظيفة الثبات وعدم التخلي عن الحقيقة، ومع أن المصائب تدور حول الرسول الكريم بفعل قريش إلاّ أنه احتمل الشدائد في قوله: (احتملت) الأذى، وهي صورة استعارية تخيلية لشيء حسي ومعنوي يُصطبر عليه، وتجشم الأهوال لبلوغ الدين للعالمين، ثم جاء الموعد وهو الرحيل –الهجرة–، فقال: (وبدأت)، ليست هذه تجربة إنسانية افتراضية، بل واقع في زمن الهجرة المحمدية، والشاعر يتأثر بهذه الدلالات السياقية،

وينثر دمعه مع دموع المودِّعين –من أهل مكة–، فاختلطت تلك الدُّموع مع دمعته بل دموعه –صلى الله عليه وسلم– الصادقة السّخية، حينما التفت –في هجرته– إلى مكة فقال: «والله إنّك لخير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله – عز وجل– ولولا أنِّي أُخْرجت منْك ما خرجْت»[1]، فبعد أن ترك الدنيا كسب نفسه بثباته على الدين القويم، وبدأ الهجرة المحمدية الخالدة، فمجمل العلاقات القائمة بين المتكلم والمخاطب قائمة على التداول السّياقي، فلم تكن مجرد أفعال فوضوية، بل العناصر الإشارية الشخصية في الأفعال متدثرة مع عناصر الاتصال، بشفرات المرسل حامل الرسالة، متضمنة شحنة عاطفية تأثيرية في هذه القصيدة الجليلة.

هذا، وشكّلت المقطوعة الثانية من الأفعال الماضية مرتبطًا بها [تاء] الفاعل أربعة أفعال أيضًا، حملت المخاطب للسعي في الأرض للبلاغ ونشر الخير للناس، في قوله:

حطَّمتَ (قيصراً) وما شاد (كسرى)...	يا نشيدَ الحياةِ، ما زلتَ لحناً...
والضياءُ الذي تركتَ مبينٌ...	...ما قبلنا فيما تركتَ الدنيّة

نصت الأفعال على العلائق الموجودة بينها وبين فاعلها، فأضافت نغمة تفكيكية لذاتها، في الفعل الماضي: (حطَّمتَ)، فأباد كل شيء أمامه وسحقه، ولكن السؤال ما المحطم؟ إنها عروش جبابرة الأرض المتحكمين في العالم في تلك الحقبة من الزمن، فقيصر ملك الروم وعاصمته القسطنطينية، ويتبعه الغساسنة وملكها، وكسرى ملك الفرس وعاصمته المدائن، ويتبعه المناذرة وملكها، الذين يسيطرون على الدنيا سلطة تجارية واقتصادية، فأسند تاء

(١) أحمد بن حنبل، "المسند". تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م)، ١٠: ٣١.

الفاعل في (حطَّمتَ) إلى النبي الكريم، فحققت كلمة واحدة دلالات متعددة؛ كالإهلاك والدك، والطحن لما بناه كسرى وقيصر، وذابت أمامه تلك الممالك، ففككت تلك الشفرة اللغوية (حطَّمتَ)، وحقق الضمير المتصل وظيفة انفعالية تعبيرية.

وأما الأفعال (ما زلت)، و(تركت) -ذكرت مرتين-، قدم النداء (يا نشيدَ الحياةِ) على الفعل ليكون ذات المخاطب المقصود بالفعل، فتوسط الفعل (ما زلت) بين نشيد ولحن، والانزياح في قوله: (يا نشيدَ الحياةِ) يحقق العاطفة المشاعرية، فالنبي الكريم في قلوب المسلمين لا يزال مذكورا، ولا تحلو الحياة إلا بذكره، أما الفعل المكرر (تركتَ)، فالوصف الأول للقرآن الكريم، والآخر للإسلام، فوصف القرآن بالضياء وأنه مبين، فالضياء هو النور الذي يهتدي به السالك في لجج الظلمات -الكفر والشرك-، وهذا الضياء يحتاج أن يكون مبينا أي جليًا صريحا ليبدد الشبهات والشهوات، أما الوصف الآخر لفعل (تركتَ) فيقصد به الإسلام، فقد تقدمه قسم من الشاعر: (قسماً بالذي اصطفاك نبيّاً)، وأداة القسم هنا الاسم المصدر (قسماً)، والمقسم به -لفظ الجلالة- الاسم الموصول وصلته (بالذي اصطفاك نبيّاً)، وفي قوله: (ما قبلنا فيما تركتَ) جواب القسم، ووظيفة القسم مع تاء الفاعل تحقق عدم ترك الإسلام، فجاء بالقسم هنا ليستثير الإحساس ويؤكد العملية التواصلية.

وأما المقطوعة الثالثة من الأفعال الماضية المرتبطة بها [تاء] الفاعل، فعلى النحو الآتي:

جئتَنا رحمةً، ونوراً، وعدلاً...	أنت علَّمتَنا نعيشُ كراماً...

ارتبطت [تاء] الفاعل و[نا] المفعولين بالفعلين (جئتَنا) و(علَّمتَنا)، والنظر هنا على ارتباط [تاء] الفاعل التي شكَّلت وظيفة وصفية مرتبطة

بالموصوف؛ بأن رسالته رحمة للناس قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وهذه النعوت من الشاعر ثم إن الشاعر قدم الضمير المنفصل (أنت) وهو أسلوب قصر، فلم نتعلَّم العيشة الكريمة إلا من النبي الكريم، التي ارتضاها لنا الخالق جل في علاه، وهذه غاية ضمير المخاطب من رسالة العملية التواصلية، والتأثير الانفعالي تجاه هذا الإبلاغ السياقي في الحوار بين المتكلم والمخاطب.

ويلحق بهذا التواصل ضمائر المخاطب المتصلة والمنفصلة، التي كان لها الأثر في تحقيق إثارة العاطفة بين المتكلم والمخاطب، فمن ضمائر الخطاب [أنت] ذكرت مرتين، في قوله:

أنت يا سيَّدي الجمالُ تجلَّى
أنت علَّمتنا نعيشُ كراماً

بنى الشاعر خطابه [أنت] على حشد مبادئ المحادثة والترابط، فالمتكلم بعاطفته الصادقة يتوخى التعبير تجاه المخاطب في المبتدأ والخبر (أنت -- الجمالُ)، وفي الخبر الجملة الفعلية (أنت علَّمتنا)، فليست العملية التواصلية مبهمة، بل مناسبة للمقام والحال.

وقد تكرر الضمير المتصل [الكاف] الذي يحيل إلى المرجع –المخاطب–، فقد وردت تسع عشرة مرة، وارتبطت بالاسم والفعل والحرف، فتجاوز بذلك رمزية العلاقة التداولية المتآزرة في العملية التواصلية، كما في الجدول الآتي:

مداك	وجهك	حولك (ذكرها مرتين)	خلفك	بحارك	اصطفاك
نورك	غصنك	بروقك	بقلبك	يصوغك	جئتك
عندك	خطاك	يعطيك	تراك	منك	دربك

وعند فك شفرات هذه الكلمات وارتباطها بـــ[الكاف]، الدالة على صفات النبي الكريم، وأفعاله وحياته، تجد الباث مهتماً بتكثيـــف تفاصـــيل ســـيرته، فصاحبت الكاف صاحب النسب الشريف تداوليا، فخلَّد الشاعر تلـــك الحيـــاة النبوية بعاطفة صادقة، وخاضعة لعمله الأدبي الجمالي وسلطته في اســـتعمال الكاف وإسناده للمخاطب.

هذا؛ ومن الإشارة إلى الشخص النداء، فهو «ضميمة اسمية تشير إلـــى مخاطب؛ لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، وليست مدمجة فيما يتلوها من كلام، بل تنفصل عنه بتنغيم يميزها»"[١]، وورد النداء في خمسة مواضع، كالآتي:

خُـــذ حروفـــي يـــا ســـيّدي واحتضنها...	يا أخانا خذ ما تشـــاء، فتأبى...	أنـــت يـــا ســـيَّدي الجمالُ تجلَّى...
يا نشيدَ الحيـــاةِ، مـــا زلـــتَ لحناً...	يا ضياءَ الحياةِ جئتُـــك أشكو...	-

فعلى المستوى التّداولي فإن المنادى بـــ(يا أخانا) يختلف ســـياقيا عـــن غيره من النداءات، فالنداء بالأخوة من قريش يذكر بأخوة أقوام المرسلين، قال تعـــالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[الأعـــراف:٦٥، هـــود:٥٠]، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ﴾ [الأعراف:٧٣، هود:٦١]، فحالتهم واحدة يُقصد بها أخوة النســـب، وليست أخوة الدِّين، وأما بقية النداءات فكانت من الشاعر المتكلم.

ثم؛ إنه تدرَّج في النداء، فعند انطلاق شرارة الدعوة في مكة إذا بالشاعر -برحلته الروحية- والمسلمون ينادونه: (يا سيِّدي)، وهو من فاق غيره بالعقل

(١) نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص١٩.

والمال، أو سمي سيدا لأنه يسود سواد الناس[1]، وقد نهى أن يناديه أحد بـ(السِّيد)، فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ»[2].

أما عندما تحطمت القيصرية وأواوين كسرى، فقد انطلق الشاعر مع الشعراء يحدون وينشدون في الفخر والعزة، فقال: (يا نشيد الحياة)، وكانوا يستخدمون الحداء في أسفارهم ولأبلهم، ثم ترى الشاعر في نهاية المطاف يتجلَّى بوقوفه أمام الرسول الكريم، وينادي ليشاركه الحوار، ويشكو مآسي عصره، وهذه تذكرنا بقصيدة البردة للبوصيري، غير أن الشاعر الزهراني طلب من النبي الكريم هدياً، وحكمةً، وعدلاً، وسلاماً، وحياةً، وفكراً، وسطياً، وعبَّر عنه انزياحا بقوله: (طالبا نجما من نجومك...)، فأعرب عن ذاك النداء بقوله: (يا ضياء الحياة)، فالضياء المبين يحتاجه المسلمون في حياتهم، والتدرج في مستويات النداء في الشكل الآتي:

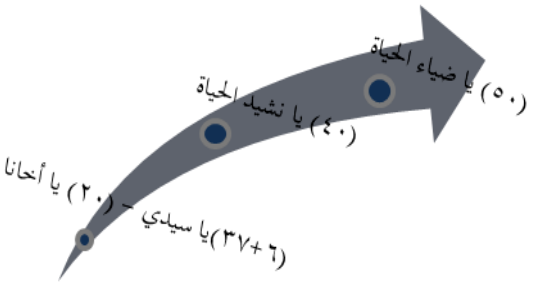

ولعلي وفقت في عرض قيمة الإشارة الشخصية التداولية بين المتكلم والمخاطب في القصيدة، وفك الشفرة التداولية بمعونة التواصل السياقي المنجز للخطاب.

(١) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ٧: ٢٩٦، مادة (س و د) بتصرف.
(٢) ابن حنبل، "المسند". ٢٦: ٢٣٤.

المحور الثاني: الإشاريات الزمانية

من أجل أن تتحقق فهم العملية التواصلية بين المتخاطبين؛ يجدر الوقوف عند زمن التكلم والتلفظ أو الإشارة الزمانية، لأنه إذا لم يُدرك زمن التلفظ فقد يلتبس الموضوع على المتلقي أو السامع، فزمن التّحدث وسياقاته التي ترد فيه، هما اللذان يميزان المقصود بذلك الوقت أو تلك الساعة، وينبني الخطاب الزمني أيضا بين المتحاورين على ذكر كلمات تدل على أزمنة، مثل: أمس، اليوم، بعد صلاة الفجر، وهكذا، فالزمن من يحدد وقوعها، لأنها مجرد ملفوظات تدل على الزمان، بيد أن إيقاعها على حادثة ما يجرها إلى زمان بعينه(١).

بيد أن النص الإبداعي، تجد أن المبدع يتجاوز بنصه التاريخ، ويخترق الزمن، ليلج إلى أزمنة مختلفة، ويسارع بعجلة وقت شعور الإنسان، فتتفاجأ أن مقدار زمنه المحتسب عليه بين الأيام والأسابيع والشهور مختلف عن مقدار شعوره المترامي الأطراف، فإن حياة المبدعين يعتريها الانفعال والشعور، ويعيش فترات بين الترقب للأحداث المستقبلية، ومعاناة ألم الحاضر وشدته، مستنداً من ماضيه الإنصاف النفسي والاجتماعي(٢)، وهذا بالضبط هو الذي حدث في النص، فقد سارع المبدع –الزهراني– بين مجريات الزمن ومقياس شعوره، تجاه هذه الرحلة الروحية الزمنية، وما فيها من أحداث ووقائع بفعل تلك الإشارات الزمنية في النص، التي استعملها وأخضعها لتدل على زمن معين، لا يمكن للمتلقي أن يدرك حقيقتها إلا بالوقوف على سياقات الزمن التي وردت فيه، ومن ذلك قوله:

---

(١) ينظر نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص١٩-٢٠.

(٢) ينظر محمد عبد الواحد حجازي، "الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية". (ط١، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٢م)، ص١٦.

غرقت في الجمالِ خمسين عامـاً وأحاطـت بـه هَـوىً وهُويّـة

كانت حروف القصيدة تشغل الشاعر منذ نعومة أظفاره، ورافقته حتى بلغ ستة وخمسين عاما، فلن نستطيع تحديد المقصود من الخمسين عام لولا السياق الذي وردت فيه، والا لاعترض الغموض هذا الرقم، وبات في مجاهيل الخطاب، أما قوله: (خذ حروفي، واحتضنها، فكَّ، انتزع)؛ فلا شك أن الشاعر يعيش في مكة إلى الآن، والنبي الكريم مات في المدينة منذ أكثر من ألف وأربع مئة عام، فلماذا يطلب من النبي الكريم أخذ حروفه واحتضانها؟ لأن الشاعر استخدم الطرق الاستعارية في القصيدة، ولعله في لحظة التجلِّي اقترب من النفس الشريفة تأسيا بالشعراء من قبله، وكأنه يعيش في تلك الأزمنة، فهناك كلمة زمنية ذكرها خمس مرات، وتختلف إفادتها حسب التداول السياقي، في الشكل الآتي:

البيت التاسع	البيت العاشر	البيت السادس عشر	البيت الثاني والعشرون	البيت الواحد والأربعون
ستشدو كلَّ يومٍ	سار يوماً	كلَّ يومٍ عباءةَ الوثنيَّة	كسبتَ نفسَك يوماً	كلّ يومٍ تعيشُ فتحاً

تتوارد التأويلات لتفي بأبعاد تداولية كلمة (يوم) في البيت التاسع، واضافة كلمة (كُلّ) على (يوم) دلّت على الشُّمول والاستغراق لذلك اليوم، أو أكثر أجزاء اليوم في الزمن الحاضر، فأفاد هذا الاستعمال الوصفية لليوم، بل والتوكيد باستمرار الشدو للسيرة العطرة أو المدائح النبوية، التي شبهها بالطير لعلوه في السماء ورفعة مكانه، فكانت (كل يوم) وصفاً للقدر المطلوب للسياق والمقام.

والتتبع لتلك السيرة من قوله: (وستقفو خطاك وهي جلال)، فبدأت الحكاية العطرة، والسيرة المثمرة، في قوله: (سار يوم) في البيت العاشر إشارة للزمن القديم، فبدأت عملية رصد هذه الولادة المباركة، فدَّل زمن المسير تلك الحقبة من عام أو أعوام ما بعد فيل أبرهة الحبشي، فانطلق النبي الكريم في مكة متأملاً في بدء نبوته، ويبشر بنزول الوحي وتتابعه، والشاعر يرصد هذه السيرة العطرة، فالمسير انتهى وبقيت سيرته شاهدة مسطرة في مكتبات الأمة الإسلامية.

وكلمة (يوم) في البيت السادس عشر تجاوزت بالزمن القدر المطلوب من الوصفية، الذي عاش فيه مترفو مكة وهم يرون الاسلام ينتشر بل ليشمل كل دار من دور مكة، ويتسارع يوما بعد يوم ليستغرق بيوت المترفين، وكأن مشهد تجدد الأيام عندهم حاصل بفعل تلك النسمة المباركة، فباتت الوثنية تخلع عباءتها، وهذا انزياح واستعارة إبداعية من قلم الشاعر، فاستعار من يريد انتزاع الوثنية بمن ينزع عباءته التي تمثل أجل ما يملك؛ احتراما له وتقديرا لما ذهله من أمر، وكان ذلك الاستغراق الحاصل من اليوم بفعل كلمة (كل) التي سبقتها، وكذلك في البيت الواحد والأربعين، فشكّلت كلمة (كل يوم) عندما صاغها الشاعر ببداية مرحلة جديدة من سيرة النبي الكريم، وهي الفتوحات وبعث السرايا، والمدن تستسلم أمام زحف نور الهدى، ووسمها بقوله (فتحا جديداً)، وتنحصر الوثنية وتتلاشى، وفي أغلب فتوحاته لم يشارك بالسيف، كناية عن الرحمة المهداة، فكانت بعض القبائل تأتي مسلمة دون قتال، وبعض المعارك تنتهي بدون اشتباك مع العدو، وعبر عن زمنه بالبندقية يندب واقعه المعاصر الذي أحرق البارود البشرية.

بُني التخاطب في البيت الثاني والعشرين بأن الإنسان صاحب العزة والكرامة، عندما يكسب نفسه ولا يتنازل، ولو كان وقتا قصيرا كـ(يوم) مثلا، فسيكون الأمر عظيما، فدلت الزمنية من كلمة (يوم) على القدر القصير من الوقت المتمثل في الأربع وعشرين ساعة، وهو في نفس الوقت على تقدير أهل الكرامة والعزة أنه موقف عظيم؛ لكسبان النفس والثبات على الموقف المحدد، وعدم التنازل وتسليمها لمن يعبث فيها، وصدَّرها الشاعر في هذا البيت في وقت مفاوضات قريش –المترفين– للنبي الكريم ليسلِّم نفسه لدنياهم، وكأن الشاعر اقتبسها من وحي القرآن الكريم عندما قال الحقُّ –سبحانه–: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤]، فدلَّت (يوم) في الآية على (قليلا)، فلن تخسر إذا كان المعطي هو الله –سبحانه وتعالى–، ولن تكسب إذا تنازلت يوما عن الإسلام.

وفي حديث الهجرة قصة عند الشاعر سطَّرها بأحداثها الزمنية في قوله:

وبدأت الرحيلَ، والدَّمعُ يجري...	...والمساءاتُ بهجةٌ قدسيّة
ليلةٌ في الزمانِ تكتبُ بِدءاً لتواريخ حُبِّنَا الهجريَّة	وتصوغُ الحياةَ فجراً جديداً...

انطلقت الهجرة المباركة بدءًا من قول الشاعر: (وبدأت الرحيل)، فأذن اللَّه للنبي الكريم بالهجرة، فقال أبو بكر: الصّحبة يا رسول اللَّه، قال: الصّحبة، فبكى أبو بكر من الفرح[1]، سجله الشاعر بقوله:(والدَّمعُ يجري، ودموعُ المحبِّ)، ذلك الحدث الزمني التاريخي، وهذه الذكرى العظيمة لها

(١) ينظر عبد الملك بن هشام المعافري، "السيرة النبوية". تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥م)، ١/ ٤٨٥.

مكانة عند المسلمين، فترك النبي الكريم وصاحبه الأهل والبلاد خلفهما، ونار الشوق تحرق القلوب، ثم أفرغ الشاعر طاقته ليثير المتلقي باستقبال مهيب من المدينة وأهلها، بالإضافة إلى الزمن وهي (المساءات) في تلك الأيام المنيرة، لكنها تعتبر (ليلة في الزمان)، أي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من العام الرابع عشر للبعثة النبوية[١]، فبعد أن أمر الخليفة الفاروق باعتماد التاريخ الهجري تاريخا للمسلمين، سَّطر الشاعر ذلك الزمن بميلاد فجر جديد، (وتصوغُ الحياةَ فجراً)، فانكشفت حلكة الليل عن ضوء الصبح الباسم، بدخول النسمة المباركة المدينة، وأفادت كلمة (بسمة أحمديَّة) بشارة عيسى -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، فالمدينة تحوي أهل الكتاب، فساق الشاعر الكلام مناسباً لطبيعة المتلقين، وبنى التخاطب بين أطرف الكلام والعملية التواصلية بمؤشر الزمن، مع استعانة الشاعر بوحدات التَّلفظ؛ ليكون معينا في تحيين التداول وسياق الحال والمقام.

المحور الثالث: الإشاريات المكانية

يولي الشاعر للمكان التخاطبي اهتماما عظيما، وله منزلة في التداولية، فتشتق لها دلالات وألفاظ تدل على قصدية المتكلم وارتباطها بالسياق، وتحفز الخطاب بين المتكلم والمخاطب وتحدد مرجعية الوحدة اللغوية مكان التواصل والتلفظ، فالمكان يعتبر جزءا بالغ الأهمية في بنائية النص الشعري الإبداعي، ومن يتأمل هذه القصيدة يجد المؤشر الزمني يتقاطع مع المكاني، مع ما يتخلل ذلك التقاطع من حزم تداولية تواصلية عاطفية، كما فعل المتكلم في رحلة الهجرة الشريفة، فيكسب بالإشارة إلى المكان وإثارته لها دون غيرها، مثل:

(١) ينظر السابق نفسه،١/ ٤٩٢.

(في، عندك، فوق، خلفك، حولك، هذا، واقف، مكة، المدينة) معنى المتكلم أكثر مما تحمل من معنى[١].

يتضمن النص أمكنة مبهمة، لوقوع بعض الأحداث فيها متضمنة دلالة الحرف [في]، «ويتضمن معنى في باضطراد مثل: قبل، وبعد، وامام، وخلف...»[٢]، وبمرجعية البنية النصية للقصيدة يتضح وقوع [في] ظرفا (امام، فوق، داخل)، كما في الشكل الآتي:

البيت:٤٤(في)	البيت:١٠(في)	البيت: ٤٠(في)	البيت: ٤٣(في)	البيت: ٤٥(في)	البيت:٤٩(في)	البيت: ٥٢(في)	البيت: ٥٦(في)
بمعنى (امام)	بمعنى (فوق)	بمعنى (داخل)	بمعنى (امام)	بمعنى (امام)	بمعنى (داخل)	بمعنى (امام)	بمعنى (فوق)

ومن خلال بنية النص وموقع الظرف ومعناه من الكلام يتعين اتجاه الخطاب، ففي البيت الرابع يصور الشاعر انغماس حروف شعره –[في]– أمام جمال النبي الكريم وسيرته الطاهرة. والبيت العاشر يشير إلى نشأته –[في]– فوق التربة المكية، والبيت الأربعون صورة من صور الحب التي تتعمق في القلب ويترجم إلى ترنم باسمه وسيرته –[في]– داخل النفوس بل يصل إلى الأضلاع (الحنايا) المنحنية داخل الجسم، والبيت الثالث والأربعون والخامس والأربعون يحكيان تحركات الظلام، كناية عن سعي جيوش الكفر لإطفاء نور الله تعالى، وهذا الاجتهاد من الكفر وأهله فيه استماتة، وبذل لأعلى الطاقة –[في]– أمام حروبه الباطلة، والتي يأمل إطفاء في الضياء، ثم أقسم الشاعر أن المسلمين المتمسكين بدينهم لا يفرطون ولا يقبلون –[في]– أمام ما ترك النبي

(١) ينظر نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص٢٣.

(٢) محمد إبراهيم عبادة، "معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية". (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١١م)، ص١٩٧.

الكريم، المنقصة والمذلة، أما عن البيت التاسع والأربعين فيتحدث فيه الشاعر بحرقة عن الانقسام بين المسلمين وظهور الطوائف التي تتغلغل –[في]– داخل طوائف أخرى، مع أن ربنا المعبود واحد، والدين واحد، والنبي الكريم واحد، فلماذا تتفرع الطوائف من هذا الدين القويم المحكم، ونتيجة هذه الانقسام يأتي البيت الثاني والخمسون ليحكي ذلك التعب والتيه الحاصل من الفرقة، فالمسلمون يقفون –[في]– أمام هذا التفرق ضحايا، وقد ختم الشاعر الأبيات بالبيت السادس والخمسين، ومطلعه: (ولرب العباد نحيا عبيدا) وفي تقديم الجار والمجرور قصر العبودية لله وحده، ومثله قصر الصبر في ذات الله كقوله تعالى:﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ [المدثر:٧]، وهذا المآل–[في]– فوق الوعي والفكر غاية الحرية.

هذا، ومن عناصر المؤشرات المكانية ظروف المكان، كـ(عندك، فوق، حولك، خلفك) والتي لا تتعين دلالتها إلى بمعونة مكانة المتكلم وموقعه واتجاهه[١]، كما في الشكل الآتي:

البيت الخامس	البيت الخامس	البيت الحادي عشر، والثاني والعشرين	البيت الخامس والعشرين
عندك	فوق	حولك	خلفك

ففي بنية النص وتحديداً في البيت الخامس ورد ظرفان يدلان على المكان، هما (عندك، وفوق) يريد أن يوضح الشاعر أن الجمال المقصود به ليس الشكل الخارجي للإنسان ولكن هناك جمال عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليس عند غيره وهو أسلوب قصر، وفي نفس الوقت هو جمال

(١) ينظر نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص٢٢.

عال ومرتفع وغالب على كل قياسات الإلهام والامتياز والفطنة والفرادة، كيف لا يكون جميلا والله تعالى جمَّله فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [ن:٤].

وأما الإشارة إلى (مكة والمدينة) فمعلوم أن الإحالة إليها جزء من بنائية النص، ومن هنا؛ دلّ اعتماد الشاعر على الأمكنة ووحدات التلفظ ومؤشراته، وأن لها أهميتها الخاصة في العملية السياقية، بل تعتبر المرجع على واقعة لسانية خارجية ضمن سياق تواصلي معين، ولها علاقة قائمة بين المتلفظ والمتلقي؛ لتوظيف وحدات التأشير الدالة على التحديد المكاني.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري

من المعلوم أن النظرية التداولية تطوف في دائرة المعنى المقصود مباشرة لا الألفاظ بحد ذاتها، ولذلك يتحتّم متابعة الملفوظات حين التلفظ بها؛ لأنها تعطينا الغاية من تلك الجملة في ذلك الموقف، ويسفر عن غايات المتكلم، والاستلزام الحواري –بالتعيين– يعتبر من أهم الأطراف والنواحي في المحصلة التداولية؛ لبعده عن المعاني الدلالية.

المحور الأول: مفهوم الاستلزام الحواري

ظهرت في الساحة التداولية نظرية على يد الفيلسوف بول جرايس Paul Grice(١٩١٣–١٩٨٨م)، تعرف بـ"مبدأ التعاون"، أي التعاون بين المتخاطبين لتأدية البيانات بينهم، واقترح تفصيلًا دقيقًا للاستلزام في ورقته المشهورة "محاضرات في التخاطب"، و"المنطق والمحادثة" في عام ١٩٧٥م، وقد ميّز جرايس الاستلزام بصيغٍ عديدة أهمها ما يُدعى بـ"الاستلزام التخاطبي"، لذا لا يعتمد الاستلزام التخاطبي على المعنى الدلالي للكلمات المباشرة فحسب، بل إلى معان أخرى سياقية إنجازية، فصاغ قانون التعاون بمبادئه الأربعة: مبدأ الكم والكيف، والملاءمة، والأسلوب، وهذا النوع من الجمل سماه بالإنجازية، التي تحمل معاني سياقية ضمنية بالاستلزام الحواري، ويتحقق عندما تخرق إحدى القواعد الأربعة، ويعتمد على كيفية استخدامها وتفسيرها؛ أي على المعنى التداولي(١).

وعودا على بدء؛ يأتي مصطلح الاستلزام Implicature بالإنجليزية من الفعل Implicate بمعنى تورط، وأصله lmplicare الذي يعني تضمّن شيئا(٢).

---

(١) ينظر نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص٣٢.

(٢) ينظر طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م)، ص٨٨.

أما مفهوم الاستلزام فيعد من المفاهيم المنطقية؛ فهو يرتكز على آلية اللزوم، واللزوم يفيد بدلاته الانتقال، فيُستعمل بصدد الأقوال؛ فتقول: (لزم عن قوله كذا وكذا)، ويسمى القول الذي لزم منه قول آخر بـ(الملزوم)، ويسمى القول الآخر بـ(اللازم)[١]وهذا أمر بدهي، ثم تعددت المفاهيم للاستلزام الحواري، ومن أشهرها: «المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة»[٢].

وقد يقال: «ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلًا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر»[٣]، معنى ذلك أنه يكشف عن الجانب الآخر من التواصل –غير مباشر أو غير معلن–، فالمتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، والسامع أيضا يفهم غيره.

وعَّرفه د. بنعيسى أزابيط فقال: «إن المعنى المستلزم المضمر؛ يتولد من عدم إخضاع الصيغة اللغوية المرسلة تخاطبيًا بقوتها المشتقة للمبادئ الحوارية وقوانينها الفرعية...الخ»[٤].

وتأسيسا على ما سبق؛ فالاستلزام الحواري أو التخاطبي قائم على خرق مبادئ الحوار، وتنتظر مخاطبا ومستمعا فطنا، يدرك ذلك الخرق ويعي مقصد المتكلم –الشاعر–، والاستلزام الحواري بكل تشكلاته متدثر في النص، ولا يمكن أن يتم إلا بفهم مقام الكلام.

---

(١) ينظر محمد السيدي، "إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري". *مجلة فكر ونقد* ٢٥، (٢٠٠٠م): ١٠٥– ١٠٦.

(٢) العياشي أدراوي، "الاستلزام الحواري في التداول اللساني". (ط١، الرباط: منشورات الاختلاف، دار الأمان، ٢٠١١م)، ص١٨.

(٣) ينظر أدراوي، "الاستلزام الحواري في التداول اللساني"، ص١٨.

(٤) بنعيسى عسو أزابيط، "الخطاب اللساني العربي – هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد". (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م)، ص١٢٠.

المحور الثاني: الجملة الخبرية والمعاني المستلزمة حواريا

يتقصَّى البحث مقاصد المعاني المستلزمة غير المباشرة وليست دلالة صريحة، وهي في نفس الوقت متفرعة عن تلك الجمل الخبرية بأضربها المختلفة: المثبتة والمنفية(١).

وبناء على ما سبق، تجدر الاشارة إلى أن جمل وعبارات القصيدة؛ تدل في سياقاتها الكلامية على دلالات غير التي تقتضيها تلك الجمل، والسبب في ذلك يعود إلى المقام السياقي التي وردت فيه، وبما أن ذلك يصب في مصلحة معرفة أوضاع المفردات المتداولة؛ لينجز المتلفظ –الزهراني– مقصده فينتقل من دلالة صريحة مباشرة إلى مستلزم تخاطبي، أي دلالة غير صريحة، فمما ورد من ذلك قوله:

غرقت في الجمالِ خمسين عاماً وأحاطت به هَوىً وهُويّة

يبدو أن الخبر بغرق المتكلم –الشاعر– في جمال المخاطب –النبي الكريم– أمر معلوم ولكنه غير كائن، بل لا يقع أبدا، فالجمال عندما يُرى لا يغرق فيه الانسان؛ لأنه لا يعدُّ من السوائل، فللسوائل خواص كيميائية تتميز بها؛ من ذلك أن الأجسام التي تُغمر في السوائل تتعرض –بلا شك– لظاهرة الطفو أو الغرق، فهل يريد المتكلم هذا الخبر؟ وهل المخاطب على جلالة قدره ينتظر من المتكلم ذلك المعنى؟ الجواب: بالطبع لا، فقد خرق المتكلم بمبدأ الكيفية والملاءمة بإرادته الغرق، بطريقة –غير صريحة وغير مباشرة– ذوبان الروح، وانغماس النفس في تتبع سيرة المصطفى عليه السلام، والوقوف على صفاته الخَلْقية والخُلُقية بكل تفاصيلها، فعنصر (الغرق) من عناصر التواصل غير الصريح؛ حقق مقاصد المتكلم السياقية.

(١) ينظر تمام حسان، "الخلاصة النحوية". (ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤م)، ص١٣٧.

ومن المعاني المستلزمة حواريا قوله:

وستقفو خطاكَ، وهيَ جلالٌ ... سار يوماً في التربة المكيَّة
وقفت حولك البطاحُ تُصلِّي ... حين لاحت بروقُك المطريَّة
غسلت وجهَها، وحنّت يديها ... وعلى ثغرها الجميلِ تحيَّة
همسُ أشجارِها، ونجوى حصاها ... قصّةٌ عذبةُ البيانِ نديَّة
فهم الكون سرها فوعاها ... والأعادي ألبابُها حجريَّة
يفهمُ البسمةَ المضيئةَ قلبٌ ... فيه للحبِّ غَيرةٌ وحميَّة

فهذه الأبيات تناولت جملاً خبرية مثبتة، تظهر دور المعاني المستلزمة في توضيح مقصد المتلفظ، فيحاول في رحلته الروحية، أن يُعلم النبي الكريم بأن حروف شعره ستتبع خطاه الجليلة، وذلك في قوله: (وستقفو خطاكَ وهيَ جلالٌ)، فأراد أن يشبه تلك الحروف بالرجل الذي يتتبع رجلا آخر على هيئة الاستعارة المكنية، وهذا الأمر معلوم لدى المخاطب، ولكن بنظرية الخرق بمبدأ الكيفية والملاءمة، فخرق بهما مبادئ الحوار، فقد أراد المتكلم تأكيد تبليغ المخاطب بمقصده من خلال المجيء به بطريقة غير صريحة، فقصد من ذلك الإعلام أن الشاعر وحروفه سيتبعان خطى أخبار النبي الكريم الجليلة، منذ سيره على التربة المكية وحتى اكتمال سيرته العطرة، ليتحول ذلك التتبع المؤكد إلى شعر منظوم يُخلَّد للعالمين، فاستعان بالتعبير عن مقصده بالمعنى المستلزم التخاطبي لتوضيح فكرته.

ثم تتوفر جملة من الأخبار بسياقاتها التداولية، تشير تداوليتها إلى جمادات، كتلك البطاح بمكة، وما فيها من أشجار وحصى –الأحجار–، حيث يخبر الشاعر أن تلك البطاح عندما نجمت نبوة النبي الكريم في مكة، بدأت بالتأثر بدعوته المباركة، بل تصلي حوله تلك البطاح، بعد أن غسلت وجهها

وهي كناية عن الاغتسال والوضوء، وحنَّت يديها كناية عن التّزيّن والتّجمّل، ثم تهمس تلك الأشجار والأحجار بالتحية، وهي قول: السلام عليك يا رسول الله، في قوله: (قصّةٌ عذبةُ البيانِ نديَّة) فقد ورد في الحديث الشريف قوله عليه السلام: «إِنِّي لأعرف حجرًا بمكّة كان يسلم علي...»[١]، فالإخبار عن أفعال التأثر من البطاح وما فيها من أشجار وأحجار تجاه المخاطب، لها معان سياقية ضمنية بالاستلزام الحواري، قد تحقق هذا الاستلزام حين خرقت تلك الأخبار ما أراده المتكلم بمبدأ الكيفية والملاءمة، فمقاصد الشاعر تحثّ أهل مكة إلى الإيمان بالنبي الكريم وتصديقه، فالخبر المعلوم للمخاطب أنه آمنت به تلك العجماوات ولم يرسل إليها، وتأثرت بصدقه فصدَّقته وهي غير مكلفة، والمستلزم من ذلك الإذعان والتسليم من أهل مكة وغيرها لما يدعوهم إليه.

وبعد أن ذكر الخاص ذكر العام في قوله: (فهم الكون سرها فوعاها)، والمعنى المستلزم عدم فهم كفار قريش تلك الرسالة المباركة، فقال: (والأعادي ألبابُها حجريَّة)، فليس الخبر من باب القول الظاهر المرسل، فالمتكلم يعي ما يقول، فقلوب وألباب الإنس من لحم ودم، بل خصَّ الأعادي بكلمة (ألباب)، فلُبُّ الانسان: ما جُعل في قلبه من العقل، ويقال لبيب أي عاقل ذو لب[٢]، فالمعنى المستلزم الذي خرق إرادة ذلك الخبر بمبدأ الكيفية والملاءمة من المتلفظ أن ذلك واقع لشدة كراهية الأعادي للرسالة النبوية المباركة، ومحض إرادتها نابع من خالص عقلها، بل ما زكى منه منكر لهذه الدعوة المباركة، فاقتبس المتكلم هذا الأمر من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة:٧٤]، فالحجارة لا تعي ولا تفقه ما ينزل عليها، فخرجت قصدية المتكلم عن المعنى المنطوق.

---

(١) ابن حنبل، "المسند"،٣٤: ٤١٩.

(٢) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"،١٣: ١٥٥- ١٥٦، مادة (ل ب ب).

ولما ذكر حال قلوب وألباب الأعادي، التفت –المتكلم– ليحدثنا عن قلبٍ من نوع آخر، في قوله: (يفهمُ البسمةَ المضيئةَ قلبٌ)، وعند ترتيب الجملة تظهر واضحة على النحو الآتي: يفهمُ (فعل). قلبٌ (فاعل). البسمةَ (مفعول به). المضيئةَ (نعت).

فهل يريد الشاعر أن يخبرنا خبرا جزافا؟ وإذا كان هذا الخبر صريحا، فمن صاحب القلب الذي يفهم البسمة المضيئة؟ إن الخبر هذا غير صريح وانتهك قواعد الحوار بين المتكلم والمخاطبين، وخرق مبدأ الكيفية والملاءمة والتعبير أيضا، فالمنطوق وراءه معان مستلزمة، فكل رجل لبيب إذا رأى النبي الكريم رؤية واحدة فقط، فإنه يعلم أن تلك البسمة المضيئة من وجه النبي الكريم نابعة من صدقه، بل يعي ذلك القلب تلك الحقيقة فيصدقها ابتداء، وهذه حال أبي بكر الصدِّيق –رضي الله عنه– فكان أول المسلمين من الرجال.

وهنا معنى مستلزم تخاطبي غير مباشر، خرج القصد منها عن معنى المنطوق في جمع "ألباب" الأعادي، وإفراد "قلب" وتنكيره؛ لدلالة العموم من جنسه، ففي الجمع دلَّ على أن الأعادي كثيرون، وأن قلوبهم الحاقدة، بل خالص عقولهم وطرائقهم ودياناتهم مختلفة ومتفرقة، أما المؤمنون بالله وبرسوله وإن كانوا من أجناس مختلفة، أو أعراق متباينة، أو قبائل متحاربة، فعند الإسلام لا يملكون إلا قلباً واحداً، ولذلك يفهم صاحب القلب تلك البسمة المباركة عند مشاهدته، فلا يملك لأمره إلا خيارا واحدا هو الامتثال والتسليم، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ، فدل على وحدانية (صراط) الله – عز وجل– وكثرة (سبل) وطرق الشيطان، وهو مستلزم حواري غير مباشر بين الإفراد والجمع.

ومن المعاني المستلزمة حواريا قوله:

أبصر- المترفونَ (مكةَ) تُلقي كلَّ يومٍ عباءةَ الوثنيَّة
فأفاقوا لكنَّهم لم يُفيقوا إذ أفاقوا إلاَّ على فوقيَّة
والهُدى يملأُ القلوبَ رحيقاً ويصفُّ الأنصارَ في مزهريَّة
و(قريشٌ) في حقدها تتلظَّى وأشدُّ اللّظى لظى الجاهليَّة

أوجزها في الشكل الآتي:

البيت	المعنى الحرفي (الصريح= المباشر)	المعنى المستلزم حواريا (غير صريح= غير مباشر)
١٦	أخبر أن المتنعمين يبصرون خلع مكة عباءة أو بردة الوثنية.	انتشار الإسلام في أنحاء مكة، وترك عبادة الأوثان.
١٧	(لم يفيقوا إلا على فوقية): جملة خبرية منفية، وفي نفس الوقت جملة القصر بـ[لا وإلا] تدل على توكيد الخبر. وكفار قريش بين الإفاقة من عدمها، ولا يزالون يعيشون بفوقية وهي ملازمة للكبر.	بدأت تحركات كفار قريش في تعذيب المسلمين الجدد من أقربائهم وعبيدهم ونسائهم والضعفة من المسلمين بوحشية وحقد متلازم لكبريائهم وتواصيهم بذلك.
١٨	إخبار بملء الهدى القلوب الرحيق وصفِّ الأنصار في مجمع الزهور.	يقوي النبي وهو الهدى عزائم المسلمين في مكة ويروي عطش قلوبهم بوعده لهم بالنصر والتمكين ثم جنة عرضها السماوات والارض، وعندما قابل الأنصار في بيعة العقبتين بدا يصف ويرتب النقباء والدعاة والسفراء.
١٩	قريش تضطرم في حقدها، فالجاهلية سبب لهذا الاضطرام وأشده.	رأت قريش المسلمين يتكاثرون على أبصارهم ويتركون عبادة الأوثان وسفاهة الجاهلية، فلما رأت ذلك ازدادت جاهلية بل وأصرت عليها تعنتا وكبرا فكأنها تحترق أسفا وتشتعل حقدا عليهم.

ومن تلك المعاني أيضاً قوله:

مــلأ الأرضَ رحمــةً، وســلاماً، وحيـــاةً، وفكـــرةً وســـطيَّة
حطَّمتَ قيصراً وما شاد كســرى أين كسرى والدولــة القيصــريّة
بعد هذا الضياءِ لم يبــقَ ضــوءٌ لم يذُبْ فــي بحــارِك الضــوئيَّة
كلّ يــومٍ تعــيشُ فتحــاً مجيــداً لم تشارك فــي جيشــه البندقيَّــة
جئتنا رحمــةً، ونــوراً، وعــدلاً فلمـــاذا نعيشُـــها دمويَّـــة؟
أنـــت علَّمتنـــا نعـــيشُ كرامـــاً لا نطـــاطي إلا لـــربّ البريَّـــة
ولـــربِّ العِبـــاد نحيـــا عبيـــداً وهو في الوعي منتهــى الحريَّــة

أوجزها في الشكل الآتي:

البيت	المعنى الحرفي (الصريح= المباشر)	المعنى المستلزم حواريا (غير صريح= غير مباشر)
٣١	ملئت الأرض رحمة وسلاما وحياة وفكرة وسطية.	حث الأمة الاسلامية للامتثال بهدي نبيها في نبذ العنف واستبداله بالرحمة والسلام المطمئن لكافة الشعوب، وإعمال الفكر الوسطي وعدم الانحياز إلى الغلو، فيجب استعادة ذلك الخلق القويم.
٣٢	تحطيم ممالك الطغيان وعروشهم (مملكة الفرس والروم)	انتشار الإسلام وإخراج الناس من عبادة الملوك المتجبرة إلى عبادة رب العباد
٣٣	(لم يبق ضوء: جملة خبرية منفية) (لم يذب: جملة خبرية منفية)، وفي نفس الوقت جملة القصر بالمعنى: [لم ولم] ومعناهما: (لم يبقى ضوء إلا وقد ذاب) توكيد الخبر بالمعنى، يخبر أن الضوء انطفأ من على الأرض ولم يبقى إلا ضوء رسول الله، يخبر بنفي ذوبان الضوء في بحاره	انطفاء نار وضوء المجوس (الفرس) الذين يعبدون النار من دون الله، فلما جاء الرسول الكريم وهو الضياء أطفأ بنوره وبحره العذب الزلال نارهم وضلالهم، فلم يهتدوا بهديه فراحوا يعادونه.
٤١	يخبر بالفتوحات (لم تشارك في	الفتوحات اليومية قد لا تكون عسكرية، بل قد

	جيشه البندقيَّة) جملة خبرية منفية، بعدم استخدام الأسلحة الحديثة.	يأتي سيد في قومه فيسلم فيفرح النبي الكريم بذلك لأن قبيلته ستتبعه، أو كفتح مكة، أما عدم مشاركة الأسلحة الحديثة في الفتوحات، فقد أراد بطريق غير مباشرة بالاستلزام الحواري التلميح بعدم مجيء النبي الكريم لإراقة الدماء وإزهاق الأرواح بل جاء رحمة وحياة وسلام
٥٣	جاءنا النبي الكريم بالرحمة والنور والعدل، ونحن نتقاتل بيننا.	هدي النبي فيه الرحمة والنور والعدل لنتأسى به، ونأخذه بحذافيره، فلا تحتدم الخلافات بيننا فيقع القتل والدمار بيننا، وهذا نبينا نبي الرحمة والنور والعدل
٥٥ ٥٦	يخبر الشاعر بأن الرسول الكريم علمنا العيشة الكريمة، فلا ننحني برؤوسنا إلا لربنا (لا نطاطي إلا لرب البرية: جملة خبرية منفية)، وفي نفس الوقت جملة القصر في (أنت علَّمتنا) قصر بالتقديم، وذكر الضمير المخاطب المنفصل والمعنى: أنت وحدك علمتنا وليس غيرك، وقصر بـ[لا وإلا] وكلاهما تدلان على توكيد الجملة الخبرية فنحن لله عبيد وهذه العبودية غاية الحرية.	يلمح الشاعر على وجود من ترك الكرامة والعيشة الكريمة التي تعلمناها من سيد ولد آدم، وابتعد عنها، فراح ينحني ويطأطئ رأسه لغير الله، ذلة ومهانة منه؛ لخوف أو طمع، فعاش عبدا لمن انحنى له وذل، وترك كرامة العبودية لله وحده، ففيه لوم وعتاب.

وبعد؛ ففي هذه التطبيقات على الجملة الخبرية بُلْغة؛ للكشف عن مقاصد المتكلم غير المباشرة وغير المصرح بها، فتحقق المراد من نظرية الاستلزام الحواري، وانتهاك قواعد الحوار وخرقها بقصد متعمّد من المتكلم، وهناك الكثير من المعاني المستلزمة لا يستطيع البحث حصرها، مما يدل على ثراء لغة الشاعر وملكته اللغوية المبدعة، وإرادة الشاعر استنطاق الأقوال المنطوقة عن طريق آلية الاستلزام الحواري، بمعونة المقام وقرائن الأحوال.

المحور الثالث: الأساليب الإنشائية والمعاني المستلزمة حواريا

الإنشاء يقابل الخبر، ويتعين النظر في الطلبي منه الذي يستتر في القصيدة، وما يتضمن من الاستفهام والنداء والأمر فقط، أما النهي والتمني فلا توجد في القصيدة أدوات لهما، لذا فالاستفهام والنداء والأمر تنبثق عنها معان مستلزمة، تخالف الصيغة والمقصدية الإنشائية التي يتحتّم الالتزام في التعبير بها، وما يعتريها من تحكُّم المقام أو السياق التّداولي فيها، فينكشف مقصد المتكلم بخرق الدلالة الصريحة المباشرة إلى مستلزم تخاطبي أو دلالة غير مباشرة.

الاستفهام الأصل فيه طلب الجواب حقيقة، وإذا تخطّى الاستفهام المستفهم عنه نتجت عنه معان تناسب المقام مستلزمة حواريا، وتبين مقاصد المتكلم بشكل غير مباشر.

وبناء عليه يتجلّى الاستفهام في القصيدة في أربعة أبيات، فقوله:

حين يُعطيكَ اللهُ تُحرمُ ماذا؟ وإذا ما حُرمتَ.. أيُّ عطيّة؟
حطَّمتَ قيصراً وما شاد كسرى أين كسرى والدولة القيصريّة؟
جئتنا رحمةً، ونوراً، وعدلاً فلماذا نعيشُها دمويَّة؟
ولماذا يريدنا الله إنساً وكثيرٌ يريدها وحشيَّة؟

ففي الموضع الأول عندما استفهم المتكلم أن من أعطاه الله حُرم ماذا؟ وإذا أعطاه الناس وحرمه الله ماذا كسب؟ إنهما استفهامان متطابقان ومتضادان في نفس الوقت، خالفا المقام التواصلي، وأديا إلى استلزام حواري بشكل غير صريح محوره الإنكار والتوبيخ، وأنجزه بصيغة الاستفهام [ماذا]، وهو اسم للسؤال عن غير العاقل، أما [أي] فهو اسم للسؤال عن العاقل وغير العاقل، فخص الاستفهام ثم عممه، تمثل في بث الطمأنينة على الماضي والمستقبل،

وسكب الرجاء والأمل في النفوس، والثناء على تلك الأوعية من الناس التي اكتفت بما عند الله، فالإنكار والتوبيخ على حال من استقل عطاء الله واستكثر غيره، والمعنى: لا تحرم إذا أعطاك الله (ماض)، ولن تكسب إذا حرمك الله (حاضر ومستقبل)، وامتزجت بآلية الاستلزام الحواري معان أخرى، كالتَّحسر على حال المحروم، والتعجيب من ذله خلف البشر، فاستطاع بالاستفهام أن يبث هذه المعاني؛ باعتماده على خرق قاعدة العلاقة والمناسبة بين الاستفهام الحقيقي والمقام التواصلي، وبالتالي؛ فُهمت قصدية المتكلم.

أما الموضع الثاني فأداة الاستفهام [أين] تأتي للسؤال عن المكان، فقد عبَّر عنها بالماضي: (حطمتَ) والرسول الكريم هو المخاطب، فأسند خبر هلاك الدولتين القيصرية والكسروية على يديه، ثم يستفهم بعدها بـ[أين]، ولاشك أن الاستفهام هنا على غير هيئته الصريحة؛ لذا اعتمد على الاستلزام الحواري؛ ليستنطق غرض المتكلم من خلال معان متولدة من الاستفهام؛ كالتهكم –مثلا– بمصير الدولتين الكبيرتين، وما حملته قديما في العراق والشام والجزيرة العربية من ظلم وطغيان، فباعتماده على الاستلزام والسياق والقرائن المصاحبة، كزفرات الشاعر على الحال التي آلت إليها الأوضاع في العالم الإسلامي من حروب وآلام.

وفي البيتين الأخيرين استفهامان بـ[لماذا] عن السبب، استفهم بـ[ولماذا]، حين أراد الاستفهام عن علة وجود الوحشية، لتلازمها القسوة والظلام والظلم، وبذلك خرجت معان حوارية كالإنكار والتوبيخ، تخرق قاعدة العلاقة بين الاستفهام الحقيقي والمقام، فعلى ذلك استلزم على المخاطب إدراك قصد المتكلم من هذا الخرق، ثم عطف على الاستفهام الأول باستفهام آخر تأكيدا له، فتلك الأعمال المخربة التي تراق بسببها الدماء لا تصدر إلا عن

الوحوش، فليست من صفات الإنس، فبالضد بين (الإنس) و(الوحش) تتباين الأشياء، والمتأمل في استفهامات النص يجد أن الإنكار والتوبيخ من المعاني المستلزمة حواريا.

وعند الوقوف على المعاني المستلزمة في أسلوب النداء، التي يمكن تلمسها من خلال السياق وقرائن الحال باعتماده على خرق العلاقة بين السياق والمقال، وسيدرك المخاطب أن الغرض من النداء لم يكن مجرد طلب الإقبال فحسب.

البيت	جملة النداء	المعنى المستلزم حواريا (غير صريح= غير مباشر)
٦	خُذ حروفي يا سيّدي واحتضنها	التعظيم والثناء والمدح، والأدب واستئذان المتكلم ببداية الكتابة في سيرة المخاطب
٢٠	يا أخانا خذ ما تشاء	التذكير بعصبة القبيلة –قريش– والطلب بالكف عن الإسلام، وطرد المسلمين الضعفاء
٣٧	أنت يا سيَّدي الجمالُ تجلَّى	التعظيم والثناء والمدح، والضمير المنفصل (أنت) يوحي بقصر صفة (الجمال) على الموصوف.
٤٠	يا نشيدَ الحياةِ ما زلتَ لحناً	التعظيم والثناء والمدح، والصلاة عليه، والتبجيل بذكر سيرته العطرة على كل لسان.
٥٠	يا ضياءَ الحياةِ جئتُك أشكو	التعظيم والثناء والمدح والتأدب عند المقام النبوي، وأن دينه مرجعية حقيقية لكل ملمات الحياة.

نلتمس المعاني المستلزمة في أسلوب الأمر من خلال السياق وقرائن الحال، بالاعتماد على خرق العلاقة بين الأوامر والسياق، فغرض المتكلم من

الأمر ليس مجرد طلب الفعل على سبيل الاستعلاء، بل هناك معان مستفادة من خرق مبدأ الخطاب.

وفي القصيدة خمسة أفعال أمر، أوجزها في الشكل الآتي:

البيت	جملة الأمر	المعنى المستلزم حواريا (غير صريح= غير مباشر)
٦	خُذ حروفي يا سيّدي واحتضنها	رغبة المتكلم إعطاء المخاطب أغلى ما عنده وهي حروفه، وطلب الفعل: (احتضنها) التماس، لتنال تلك الحروف بذكره البركة، فلسانه سيكون دفاعا عن المخاطب وتسخيرا له.
٦	فُكَّ أغلالَها إلى الأبديّة	الأدب الجم من المتكلم، والالتماس واستئذان المخاطب في بداية نظم سيرته، ولسان حال المتكلم أن سيرة خير المرسلين لا قيود ولا أغلال في التحليق بها حتى النهاية.
٧	انتزعْ طينها لتصبحَ طيرًا	المدح والثناء والعلو عند ذكر خير الناس، وفيه إشارة أن الشعر يرتفع بأناس وينخفض بهم.
٢٠	يا أخانا خذ ما تشاء	النصح والحث والإرشاد والالتماس، فالمتكلمون -قريش- والمخاطب النبي الكريم، يلتمسون ويبتغون التنازل عن الدين الإسلامي وعدم تأليب الناس وتغيير معتقداتهم.

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية

ظهرت نظرية الأفعال الكلامية في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد تولَّدت الأفعال الكلامية نشأةً من رحم الأفكار الفلسفية، على يد جون أوستن John Austin (١٩١١- ١٩٦٠م)، وبنشأتها تعتبر المكون الثالث للتداولية اللغوية(١)؛ وأصبح جون أوستن أباً للتداولية(٢)، ثم تلتها مرحلة والضبط المنهجي عند جون سورل John Searle.

المحور الأول: مفهوم الأفعال الكلامية

يعد الفعل الكلامي الجوهر المركزي في الكثير من الأعمال والمقاربات التداولية، والسبب في ذلك أن كل ملفوظ ينهض على قاعدة شكلية، ودلالية إنجازية تأثيرية، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية، وقد تسمى أفعالاً غرضية أو إنجازية؛ لتحقيق أغراض إنجازيه؛ كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد، وغايات تأثيرية، وقد تسمى أفعالاً تأثيرية، تنتظر ردود فعل المتلقي أو المخاطب كالرفض والقبول، ومن ثم؛ فالفعل الكلامي يتطلع إلى أن يكون فعلا في السياق، ذا تأثير في المخاطب، ومن ثم إنجاز شيء ما، فاتضح بذلك أن من أهم خصائصه هو قيامه على مفهوم القصدية(٣).

---

(١) ينظر محمد السيد العبد، "نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد". *مجلة الدراسات اللغوية* مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ٤، (٢٠٠١م): ص١٣.

(٢) ينظر: نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص٤١.

(٣) ينظر: صحراوي، "التداولية عند علماء العرب"، ص١٠- ١١. حمداوي، "من الحجاج إلى البلاغة الجديدة". ص٩٣-٩٧.

مراحل الفعل الكلامي عند أوستن، وتصنيف الفعل الإنجازي عند سورل[١]:

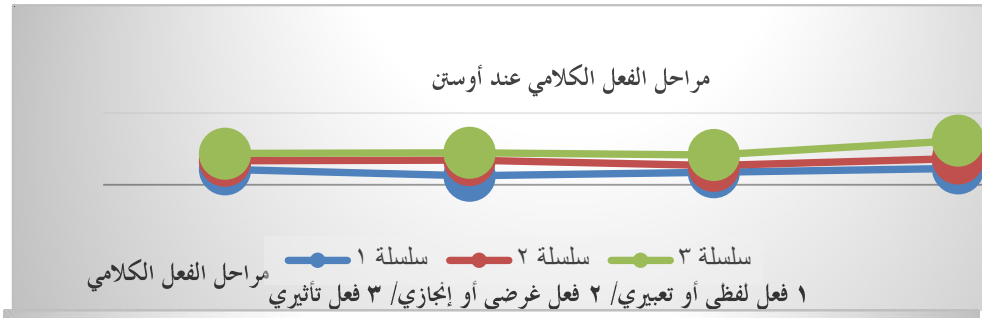

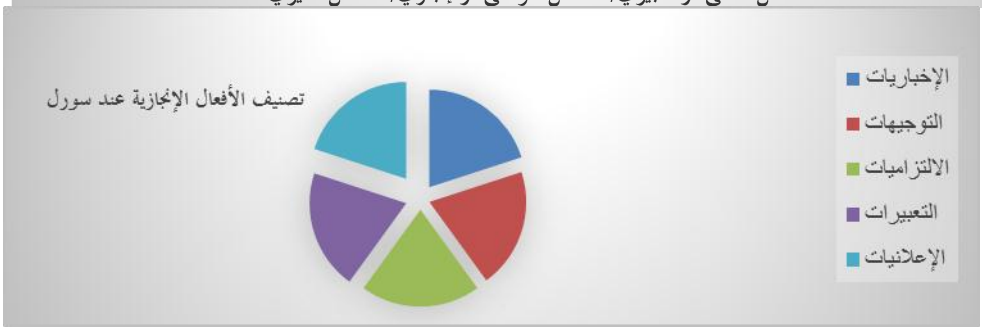

وبعد؛ فهذه نظرة موجزة؛ لينهض البحث بالمحورين الآتيين.

المحور الثاني: الأفعال الإنجازية

حمل الشاعر في قصيدته مضامين الخطابات المختلفة، التي تدعو إلى إنجاز أفعال أثناء التَّكلم بها، وتظهر الأفعال الكلامية في هذه المقامات في الطلبيات الإنشائية، التي تتناسب مع السياق الذي ترد فيه، إلا أنها تخرج عن الأغراض الأصلية التي وضعت لها، وقد صيغت في هيئة طلبية تستدعي مطلوبا، وهذا ما يرجو الشاعر حصوله في رحلته من قبل المتلقين، لذا؛ سعى في أغراضه الطلبية إلى استدراج المخاطبين عن طريق الاستفهامات والنداءات والأوامر، وتتظافر الأساليب الطلبية بزيادة القوة الإنجازية للأفعال.

(١) ينظر: صحراوي، "التداولية عند علماء العرب"، ص٤٠- ٤٥.

ولذلك؛ هدف الشاعر للإفصاح عن أفكاره بعرض أفعال الكلام في هيئتها الطلبية؛ الاستفهام والنداء والأمر، وليس ذلك إلا لإنجاز المعاني المقصودة خدمة للأفعال الكلامية.

وعليه؛ فقد جاءت الأفعال الكلامية في هيئتها الاستفهامية في خمسة مواضع فقد أراد الشاعر في الموضع الأول أن يظهر فعل القناعة بعطاء الله، واستعمل الفعل المضارع (يعطيك) الذي يدل على استمرار العطاء، وإذا أعطى الله فتكرار الإحسان منه على الدوام، ثم سلط على العطية في نفس البيت استفهاما آخر، وكأنها ليس لها إرادة من قبل نفسها، واستعان المتكلم بأداة الاستفهام [ماذا] و[أي]، فتوجه للمخاطبين باستفهامات غرضها الصريح والمباشر الإنكار التوبيخي، وأما طلب العلم بالشيء فعلى سبيل الاستهزاء، وأراد أيضا بناء علاقة تواصلية مع المخاطبين أملا منه في إدخال الأنس عليهم بكلامه؛ لتوجيههم إلى قصده من الخطاب؛ وهو إدراك مدى تأثير عطاء الله في النفوس، والقناعة به والرضا فيه، فكان الاستفهامان مرآتين ،كشفتا عن أسى الشاعر على من تكبر عن عطاء الله، ورغب في غيره.

أما في الموضع الثاني فقد ثار الشاعر باستفهامه التعجبي من حال من أعجب بقوة الدول الكافرة، فذَّكر باستفهامه –تنبيها للغافلين وتعجيبا من حالهم– أنه قد ذُكر في زمان غابر مملكتان عظيمتان زالتا واضمحلتا على يد النبي الكريم، فعبَّر عن ذلك مستعيناً بـ[أين]، للاستفهام المكاني عن الملوك الكافرة وممالكهم، والتقديم والتأخير بين (قيصر وكسرى) لتداول الأيام والأزمان بينهما في الغلبة والهزيمة، والغرض من الاستفهام ليس الاستخبار أو العلم بالشيء، فالمتكلم يعلم الإجابة، ولكن التعجيب مضمن بين دفتيه الاستنكار والتوبيخ من حال من يسأل عن مآل كل متجبر، أو يريد أن يسير

على طريقتهم في بناء القصور، وهذا الاستفهام محوَّل بضرورة الالتفات إلى سيرة النبي الكريم، الذي ما بنى حصنا ولا قصراً! فسلَّط المتكلم الاستفهام على الفعل الكلامي التّحطيم، فكان همه تبليغ رسالة الله للعالمين، ومحتوى الرِّسالة –لا إله إلا الله– النفي والإثبات، كما أن محتوى الإنجازية التَّحطيم ثم البناء.

ثم جرَّد الشاعر في الموضعين الأخيرين من نفسه ذواتاً أخرى يتوجه إليها بالخطاب، ويبث إليها الهموم والأحزان، مستعيناً بأسلوب الاستفهام والمتمثل في أداته [لماذا]، باحثا عن سبب تلك الأفعال الدموية والوحشية، ليس ذلك على جهة الاستخبار والاستعلام، بل يظهر الشاعر فعلا كلاميا يتجسد في غضبه الشديد، من حال من رضي بالقسوة، والظلمة والجهل، والظلم، بعد أن جاء سيد ولد آدم بالرحمة، والنور، والعدل، فهو استفهام إنكاري توبيخي للفعل الكلامي (العيشة الدموية)، وترك حياة الأنسنة التي خلقنا الله عليها وأرادها لنا، فوظَّف الشاعر أسلوب الاستفهام للتعبير عن حزنه بطريقة غير مباشرة.

أما النداء؛ فنلحظ أن المتكلم استخدم النداءات الوصفية أدباً وحياءً وليس العلمية، فجاءت الأفعال الكلامية في هيئة النداء في خمسة مواضع، يمكن تحديدها بأشباهها كالآتي:

خُذ حروفي يا سيّدي واحتضنها فُكَّ أغلالَها إلى الأبديّة

أنت يا سيَّدي الجمالُ تجلَّى للبرايا في صورةٍ آدميَّة

توسط النداء في الجملة بقوله: (يا سيدي) ولا شك أن النداء ليس على حقيقته فلا يطلب حضوره في هذا المشهد الجليل، بل غرضه إظهار الشاعر فعلا كلاميا يتجسد في التعظيم والمدح والثناء، والفعل الكلامي المتأمل من المتلقي التصرف في كل شيء يملكه المتكلم، يرفد ذلك أن المخاطب جمال

عند المتكلم، وبان للبرايا وهم الذين برأهم الله فأوجدهم من العدم، وما كانت أفعال الكلام حاضرة إلا بالاستعانة بالسياق وقرائن الأحوال: (خذ حروفي) (واحتضنها) تقديم (أنت) للقصر... الخ.

ثم دوّن الشاعر الفعل الكلامي بالنداء لعرض قريش ومساومته، بقولهم:

يا أخانا خذ ما تشاء، فتأبى والتأبِّي طبعُ النُفوس الأبيَّة

ليس المراد من النداء طلب الإقبال على الحقيقة، بل يدل –من خلال السياق وقرائن أحوال المتكلم والمخاطب– على الاستعطاف والتَّرجي بالفعل الكلامي، والتَّصرف في كل شيء تملكه قريش، وقد باءت ذلك النَّداء بالرفض القاطع من تلك النفس الكريمة الأبية.

ثم ختم بنداءين أظهر فيهما تجلي الثناء والحب العميق لتلك النفس الطاهرة، فقال:

يا نشيدَ الحياةِ، ما زلتَ لحناً في الحنايا، وفي النفوسِ قضيَّة
يا ضياءَ الحياةِ جئتُك أشكو من مآسي أوضاعنا الحاليَّة

استعان المتكلم بالنداءين كفعل كلامي لتوصيل رسالته للمخاطب، وتشييد علاقة دينية كريمة مع النبي عليه السلام، فمد جسور حروفه الأدبية للسيرة الجليلة.

ثم جاءت الأفعال الكلامية في هيئة الأمر في خمسة مواضع، ففي قوله:

خُذ حروفي يا سيّدي واحتضنها فُكَّ أغلالَها إلى الأبديّة
انتزعْ طينها لتصبحَ طيرًا لا يعاني أثقالَه الطينيَّة

سرد الشاعر أربعة أوامر بصيغة الأمر المباشر، تمثلت في (خُذ، واحتضنها، فُكَّ، انتزعْ)، لكن الأمر هنا ليس استعلائيًّا أو إلزاميًّا، فقد خرج عن معناه الحقيقي، بل أنجزت هذه الأفعال التماساً وحثاً ورغبة، من المتكلم

لإعطاء المخاطب أغلى ما عنده، وهي حروفه الأدبية؛ لتتضمن السيرة النبوية، وما كان يحدث هذا التوظيف الإنجازي لتلك الأفعال لولا معونة السياق، وقرائن الأحوال، وبقي الأمر الخامس في قوله:

يا أخانا خذ ما تشاء، فتأبى والتأبِّي طبعُ النُّفوس الأبيَّة

المخاطب النبي الكريم، والمتكلمون قريش، والأمر (خذ) لي على حقيقته، فقريش لا تريد من ذلك حقيقة العطاء المتدفق، بل خرج الأمر للفعل الكلامي إلى الحث، والإرشاد، والالتماس، يلتمسون ويبتغون التنازل عن لا إله إلا الله، وعدم تغيير معتقداتهم.

وبناء على ما سبق؛ يتبين أن الأفعال الكلامية في هيئة (الاستفهام والنداء والأمر)، ذات قدرة على الإنجاز والتأثير في المتلقي، بفعل السياق التواصلي وقرائن الأحوال، وتفوقت وتفردت بإمكانياتها فجعلت كيان المتلقي يتفاعل مع المتكلم.

المحور الثالث: عناصر القوة الإنجازية اللغوية وغير اللغوية

تستند القصيدة إلى كثير من المؤشرات الإنجازية، التي تساعد في تقوية مقاصد الشاعر –المتكلم–، ولما كانت اللغة العربية ثرية بالمؤشرات الإنجازية التي لا تضيف معاني مستطرفة، أو تنجزها فحسب؛ بل تزيدها إحكاماً وتوكيداً، وتزيدها توثيقاً وقوة، وبالتالي ينعكس ذلك في إنتاجية الفعل الإنجازي المنطوق متلازماً بقوة إنجازية، وتترافد طرق تقوية المنطوق الإنجازية، وتتشكّل فيما هو لغوي وغير لغوي.

ثم إن التوكيد وطرقه عند النحاة القدماء كـ-ابن يعيش[١]- والبلاغيين كـ-عبد القاهر وغيرهم، أداموا النظر في هذا المنعطف التداولي في معاني النحو وأساليبه التركيبية، وأغراضه التواصلية، ومنه (إنَّ وأنَّ، والنون المثقلة، وتكرار اللفظ نفسه، وأسلوبي القصر والقسم).

ولما كان للتداوليين المعاصرين -كسورل مثلا- دور بارز؛ فقد صنف ذلك الفعل الإنجازي حسب ما عرضه إلى (الإخباريات= التقريريات Assertives)، و(التوجيهيات= الأمريات= الطلبيات Directives)، و(الالتزاميات Commissives)، و(التعبيريات= البوحيات Expressives)، و(الإعلانيات= الإيقاعيات = التصريحات Declarations) وعدّ التوكيد فعلا كلاميا، وأدرجه ضمن الإخباريات التي تقدم مسؤولية المتكلم عن صحة ما يقوله، وهذه الإخباريات مشروطة بامتلاك الدعائم القانونية أو الأخلاقية التي تؤيد صحة محتواها، فقد وضع سورل أساسا للفرق بين التوكيد والخبر- العادي- بقوته الإنجازية، يتمثل في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول، ويزيد بذلك التوكيد عن الخبر مثبتاً كان أم منفياً[٢].

فلابد من الكشف عن عناصر التقوية الإنجازية اللغوية وغير اللغوية في القصيدة، ووظيفة العناصر في تقوية القوة الإنجازية لذلك المنطوق النصي الإنجازي؛ وسلطة المتكلم التوجيهية أو غيرها، والنظر في علاقة المؤكدات بالموقف السياقي المتحكم بمقاصد المتكلم.

---

(١) ينظر: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، "شرح المفصل". (ط١، بيروت: عالم الكتب، د ت)، ٥٨٨/١.

(٢) ينظر: صحراوي، "التداولية عند علماء العرب"، ص٢٠٧- ٢٠٨. حمداوي، "من الحجاج إلى البلاغة الجديدة". ص٩٣-٩٧.

١- القوة الإنجازية اللغوية

ومن تلك القوى الإنجازية اللغوية: [أنَّ المؤكدة] و[النُّون المثقَّلة] كما في الجدول:

الجملة الإنجازية	عناصر تقوية القوة الإنجازية اللغوية	الفعل الإنجازي مقصد المتكلم	تصنيف الفعل الإنجازي
غيرَ أنَّ الجمالَ عندكَ شيءٌ	غير + أنَّ	إنجاز فعل قوة الاستدراك	الإخباريات
فلأنَّ الحروفَ منك حييّة	اللام + أنَّ	إنجاز فعل الحياء لتلك الحروف	الإخباريات
غيرَ أنَّ الظلام ما زالَ حيّاً	غير + أنَّ	إنجاز فعل الدوام لحياة الظلام	الإخباريات
فأفاقوا لكنَّهم لم يُفيقوا كلُّ فردٍ منَّا لديه إناءٌ	نَّ	إنجاز فعل الإفاقة إنجاز فعل الفرقة والتشتت	الإخباريات

ومنها أيضا: [القسم]

الجملة الإنجازية	عناصر تقوية القوة الإنجازية اللغوية	الفعل الإنجازي مقصد المتكلم	تصنيف الفعل الإنجازي
قسماً بالذي اصطفاك نبيّاً	القسم + النفي	إنجاز فعل الوعد والالتزام	الإلتزامات

ومنها: [أساليب القصر] تزيد من قوة المنطوق الإنجـــازي وتوضـــح مقصد المتكلم.

الجملة الإنجازية	عناصر تقوية القوة الإنجازية اللغوية	الفعل الإنجازي مقصد المتكلم	تصنيف الفعل الإنجازي
فأفاقوا لكنَّهم لم يُفيقوا إذ أفاقوا إلاَّ على فوقيَّة	لم + إلا	إنجاز فعـــل الإفاقـــة بقصر صـــفة التكبـــر والفوقية على قريش	الإخباريات
لا نطاطي إلا لـــربّ البريَّة	لا+ إلا	إنجاز فعـــل الإقـــرار والخضوع لله وحده	الإيقاعيات
ولربٍّ العِبـــاد نحيـــا عبيداً	تقـــديم الجـــار والمجرور	إنجاز فعل الإقرار والثبات على عبودية الله وحده	الإيقاعيات

ومنها: [نفس] وشرط التوكيد بالنّفس أن يشتمل على ضمير يُطابق المؤكّد به

الجملة الإنجازية	عناصر تقوية القوة الإنجازية اللغوية	الفعل الإنجازي مقصد المتكلم	تصنيف الفعل الإنجازي
وإذا ما كسبتَ نفسَك يوماً	نفس+ الكاف	إنجاز فعل الكسب	الإخباريات

ومنها: [قد] وإذا جاء الفعل الماضي مسبوقا بـــ[قد] يفيد التأكيد والتحقيق

الجملة الإنجازية	عناصر تقوية القوة الإنجازية اللغوية	الفعل الإنجازي مقصد المتكلم	تصنيف الفعل الإنجازي
فلقد صار دربُنا أُحجيَّة	قد+ الفعل الماضي	إنجاز فعـــل الإخبـــار بصـــيرورة لغزيـــة الدرب فتحتاج إلى حل	الإخباريات
ولقد طال تيهُنـــا وتعبنا	قـــد + الفعـــل الماضي	إنجاز فعل الإخبار بطول الحيرة بصحبة التعب	الإخباريات

٢- القوة الإنجازية غير اللغوية:

ومن القوى الإنجازية غير اللغوية في القصيدة الأمر، ويعتبر من أقوى الأنماط لاستعماله سلطة المتكلم، فيتحقق الفعل الإنجازي -مقصد المتكلم-، فيندرج ضمن غرض (التوجيهيات أو الطلبيات) كما يأتي:

الجملة الإنجازية	عناصر تقوية القوة الإنجازية غير اللغوية	الفعل الإنجازي مقصد المتكلم	تصنيف الفعل الإنجازي
خذ حروفي يا سيدي واحتضنها انتزع طينها لتصبح طيرًا	سلطة المتكلم سلطة التوجيه	إنجاز أفعال الأمر في البيت السادس طلب الإذن بكتابة السرة النبوية	الطلبيات أو التوجيهيات
يا أخانا خذ ما تشاء فتأبى والتأبِّي طبع النفوس الأبيَّة	سلطة المتكلم الحاكمية	إنجاز فعل الأمر في البيت العشرين بأخذ الدنيا وترك الآخرة	الإخباريات
الرُّؤى في مداكَ لا أدريّه لا يعاني أثقالَه الطينيَّة لا نطاطي إلا لربّ البريَّة	سلطة المتكلم	إنجاز الفعل بتأبيد النفي بلا في البيت الأول (نفي كتم الرُّؤى وتوسط الجار والمجرور يدل على الاحتواء) السابع (نفي المعاناة) الخامس والخمسين (نفي الانحناء والانخفاض)	الإخباريات لإلتزامات
لن تبالي أن تخسرَ البشريَّة	سلطة المتكلم	إنجاز الفعل (نفي المبالاة) بتأبيد النفي بلن في الثاني والعشرين	الإخباريات
ما قبلنا فيما تركتَ الدنيّة	سلطة المتكلم	إنجاز الفعل بتأبيد النفي بما في البيت: الخامس والأربعين (نفي قبول المذلة)	الإلتزامات
فأفاقوا لكنَّهم لم يُفيقوا نارُها لم تزل بقلبِك حيّة بعد هذا الضياء لم يبقَ ضوءٌ	سلطة المتكلم	إنجاز الفعل بتأبيد النفي في البيت:	

لم يذُبْ في بحارِك الضوئيَّة لم تشارك في جيشه البندقيَّة	سلطة المتكلم الحاكمية ←	السابع عشر (نفي الإفاقة المنطقية) السادس والعشرين (نفي زوال نار الغربة) الثالث والثلاثين (نفي البقاء والذوبان) الواحد والأربعين (نفي مشاركة السلاح الحديث الفتاك)	الإخباريات
احتملت الأذى بصبرِ نبيٍّ نارُها لم تزل بقلبِك حيّة	سلطة المتكلم	الرابع والعشرين (إنجاز الفعل بزيادة الباء لتقوية المعنى) فاحتمال الأذى لا يستطيعه إلا الأنبياء (لا تهمد نار الشوق لمكة وأهلها في قلب النبي الكريم)	الإخباريات

فبعد استعانة المتكلم بمؤشرات تأكيدية، وعناصر إنجازية لغوية وغير لغوية، مما يدل –قطعيا– على تنوع أغراض الشاعر بتصنيف الفعل الإنجازي بين الخبرية، والالتزامية، والإيقاعية، والطلبية، وإن كنت أحدث نفسي أن الأفعال الكلامية تصنّف في هذه القصيدة –بالتحديد– في صورتها العامة تحت عنصر (البوحيات)؛ لكن تعدّد مقصدية الأفعال الكلامية بمعونة السياق التواصلي يحتم تصنيف الفعل كما ذكر سابقا.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة خلُص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات.

فأما النتائج فأجملها فيما يأتي:

-نهضت القصيدة بشكلها ورؤيتها من إبّان حروفها وحتى آخر حرف فيها على المحبة والشوق لتلك النسمة المباركة، وكل عام من حياة الشاعر تعادل بيتا منها؛ فدعت سنين الشاعر الناس وأبياته إلى التَّخلق بأخلاق النبي الكريم وآدابه الفاضلة، فضلا عن المعاني الظاهرة والمضمرة حول إقناع المخاطبين بأن سيرته دواء روحي، وشفاء نفسي، وحياة للقلب والضمير معا.

-لم يعتمد الشاعر في رحلته -الروحية- لتوصيل مقصده على سبيل واحد فقط، بل تنوعت أغراضه، وتضاعفت غاياته المباشرة وغير المباشرة.

-استحضر الشاعر في القصيدة الشخوص والذوات، وكان النبي -عليه السلام- في مقدمة تلك الشخصيات التي كأن الشاعر يجالسها، مما جعله -تأدبا منه- يمتلك سلطة خطابية خاصة بـ[ياء] المتكلم.

-عبَّر الشاعر عن ذاتيته باستعمال اللغة بمعونة الضمائر [تاء] الفاعل [ناء] الفاعلين، والضمير المنفصل [أنت]، وهو دور تلعبه التداولية؛ التي تمنح المتكلم رئاسة الحديث، والقدرة الشخصية المتمكنة، واستمنح الشاعر ضمير المتكلمين [ناء] لحمالته مزية تداولية تشكلت في المشاركة والفاعلية بين المتكلمين والمخاطب، وإرساء روح التجانس والتبادل في الخطاب.

-تكاتف المقدار الشعوري مع المقدار الزمني لدى الشاعر، فرحل روحيا عبر الزمن إلى عمق العصر النبوي، فانجذب لتلك الأجواء الروحانية الجميلة، وتطلع أن يكون لجيل عصره ارتباط متين بذلك العصر الذهبي، فساعدت الإشاريات الزمانية التي وظفها الشاعر حين التَّكلُّم في تشعيب الأفعال حسب الزمن وحدوث الفعل.

-المكان عند الشاعر جزء لا ينفصل عن بنية النص؛ لذا اعتمد في الإشارية المكانية على أنها غرض تداولي لها تأثيرها في سياق الكلام، لذلك تضمنت هذه الإشاريات الظروف، وأسماء المدن، ومعاني (في).

-تنوعت الأغراض غير الصريحة والمستلزمة حواريا في القصيدة من خلال مبدأ التعاون، وخرق العلاقات، فتشكلت الغايات في عموم منطوقها ومفهومها بين النصح، والحث، والإرشاد، والالتماس، والتوجيه.

-اعتمد المتكلم في توصيل أفكاره ومقاصده على أسلوب الاستفهام بأدواته المختلفة، كآلية من آليات معاني الاستلزام الحواري، ومنها؛ الإنكار، والتوبيخ، والتحسر، والتعجيب، مستعينا بالسياق والقرائن وجو الحوار.

-استثمر الشاعر مقدرته الفنية والإبداعية في تكثيف الطلبيات في مقدمة القصيدة، ولم يصرح بها بالمعنى البارز المكشوف، مما دل على أدبه وحيائه من المخاطب.

-أضاف الشاعر بتدرجه في النداء قيمة تداولية بين المتكلم والمخاطب، وحقق سلما تراتبيا في النداءات بداية من البيت (٦) ثم (٢٠) ثم (٣٧) ثم (٤٠) حتى (٥٠)، فحقق بترك النداء ثم العودة إليه؛ سكوتا ونداء، سكوتا ونداء، علاقة تواصلية منجزة الخطاب.

-لم أعثر على أدوات نهي أو تمني في القصيدة، وهذا أمر محمود من الشاعر، إذ كيف يطلب الشاعر من المخاطب-الرسول الكريم- أن يكف عن شيء ما؟ مما دل على الأدب الجم في مخاطبة الروح الشريفة، فجنَّب الشاعر حروفه هذا المنحدر فتسامت عباراته، وترك التمني لعلمه أنه لا يقع وغير ممكن، فاكتفى من الانشاء بالاستفهام والنداء والأمر.

-أكثر المتكلم من أدوات النفي (لا، ما، لن، لم) فدل على تطهير أخبار النبي -عليه السلام- من الزيادة والنقصان، فكأنها تمثل درع الحماية لجناب النبوة من العبثية والفوضوية.

-أدّت أغراض الشاعر إلى تحقيق الأفعال التأثيرية، فقد حملت المتلقين على الاعتقاد والإقناع، والإنجاز التداولي، وهذا ما آزر النص في جذب الأفهام.

-كان الطابع العام للمقاصد التداولية الكلامية في القصيدة هو أسلوب التوجيه والطلب والالتزام أو التعهد والإخبار، لإثارة عواطف المتلقي ومحاولة إقناعه.

-استعان الشاعر بمؤشرات تأكيدية وعناصر إنجازية لغوية مثل (أنَّ، القسم، القصر، قد) وغير لغوية مثل (سلطة المتكلم، والتوجيه، والحاكمية)؛ للاستدلال بارتباط المقام باللغة الكلامية، فتنوعت الأفعال الإنجازية وصُنِّف الفعل الإنجازي بين التوجيهيات، والإخباريات، والإلتزاميات، والإيقاعيات، والطلبيات.

-أخيرا امتلك صالح الزهراني ناصية اللغة الرصينة، فطوى أحداث السيرة النبوية في رحلة روحية، في موكب الجمال، وأنجز تداوليتها بأرقى الإشاريات، وأكرم المعاني المستلزمة الحوارية والأفعال الكلامية، معبرا فيها عن غرضه ومقصده، بمعونة السياق والمقام التواصلي.

وتوصي الدراسة بأمور منها:

أ- البحث لم يتناول أمورا من التداولية كالإشاريات الاجتماعية، والافتراض المسبق؛ طلبا للإيجاز، فيجدر دراستها على هذا الأساس.

ب- المزيد من التطبيقات التداولية على الشعر العربي القديم والحديث.

ج- دراسة قصيدة رحلة في موكب الجمال من خلال:

١/بلاغة الحجاج. ٢/تجليات الذات والآخر. ٣/ بنية الزمان والمكان.

٤/ الظواهر التركيبية ودلالتها الأسلوبية. ٥/ التَّناص القرآني والحديثي.

٦/عتبات النص. ٧/ أيَّ دراسة نحوية لسانية أم صرفية أو دراسات أدبية أو نقدية.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين، والتابعين بإحسان

المصادر والمراجع

المصادر:

- الزهراني، صالح بن سعيد، "ديوان: الحزن هذا ليس لي". الذي منه القصيدة (لم ينشر).

المراجع:

١- ابن إسحاق، محمد، "السير والمغازي". تحقيق: سهيل زكار، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م).

٢- ابن حنبل، أحمد، "المسند". تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". (ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م).

٤- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، "شرح المفصل". (ط١، بيروت: عالم الكتب، د ت).

٥- أدراوي، العياشي، "الاستلزام الحواري في التداول اللساني". (ط١، الرباط: منشورات الاختلاف، دار الأمان، ٢٠١١م).

٦- أرمينكو، فرانسواز، "المقاربة التداولية". ترجمة: سعيد علوش. (دط، الرباط: دار الإنماء القومي، ١٩٨٦م).

٧- أزابيط، بنعيسى عسو، "الخطاب اللساني العربي – هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد". (ط١، الأردن إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م).

٨- البقمي، فهد مرسي، "شعر صالح الزهراني: دراسة في المضامين والأساليب". رسالة ماجستير غير منشورة. (د ط، الأردن: جامعة مؤتة، ١٤٢٨هـ).

٩- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية". (ط١، بنغازي: دار الكتاب، ٢٠٠٣م).

١٠-الصافي، خديجة محمد، "نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية". (ط١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).

١١-صحراوي، مسعود، "التداولية عند علماء العرب". (ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م).

١٢-المعافري، عبد الملك بن هشام، "السيرة النبوية". تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥م).

١٣-حجازي، محمد عبد الواحد، "الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية". (ط١، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٢م).

١٤-حسان، تمام، "الخلاصة النحوية". (ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤م).

١٥-حمداوي، جميل، "من الحجاج إلى البلاغة الجديدة". (ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م).

١٦-العسقلاني، أحمد بن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (دط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

١٧-العمري، محمد، "البلاغة العربية أصولها وامتدادها". (ط١، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م).

١٨-عبادة، محمد إبراهيم، "معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية". (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١١م).

١٩-عبد الرحمن، طه، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.

٢٠-عبد العزيز، دارة الملك، "قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية". (ط١، الرياض: وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠١٥م).

٢١-نحلة، محمود أحمد، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر". (ط١، مصر: دار المعرفة الجديدة، ٢٠٠٢م).

٢٢-يول، جورج، "التداولية". ترجمة: د. قصي العتابي. (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م).

الدوريات:

- السيدي، محمد، "إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري". *مجلة فكر ونقد* ٢٥، (٢٠٠٠م): ١٠١- ١٠٦.
- العبد، محمد السيد، "نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد". *مجلة الدراسات اللغوية* مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ٤، (٢٠٠١م): ١٢- ٥٢.

المواقع الالكترونية:

-موقع ويكيبيديا "الموسوعة الحرة".

References

1. Ibn Ishaq, Mohamed, "Biography and Conquests." Edited by: Suhail Zakkar, (1st edition, Beirut: Dar Al-Fikr, 1978 AD).
2. Ibn Hanbal, Ahmed, "Al-Musnad." Edited by: Shuaib Al-Arnaout, (1st edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 2001 AD).
3. Ibn Manzur, Mohamed bin Makram, "Lisan al-Arab." (1st edition, Beirut: Dar Sader, 2000 AD).
4. Ibn Yaish, Muwaffaq al-Din Yaish bin Ali, "Sharh al-Mufassal." (1st edition, Beirut: Alam al-Kutub).
5. Adrawi, Al-Ayashi, "Dialogue Commitment in Linguistic Circulation." (1st edition, Rabat: Difference Publications, Dar Al-Aman, 2011 AD).
6. Arminko, Françoise, "The Pragmatic Approach." Translated by: Saeed Alloush. (Rabat: National Enmaa House, 1986 AD).
7. Azait, Benaissa Asso, "Arabic Linguistic Discourse, The Architecture of Implicit Communication from Abstraction to Generation." (1st edition, Jordan, Irbid: Modern World of Books, 2012 AD).
8. Al-Baqmi, Fahd Morsi, "Saleh Al-Zahrani's Poetry: A Study of Contents and Methods." Magister message that is not published. (D. T., Jordan: Mutah University, 1428 AH).
9. Al-Shehri, Abdul Hadi bin Dhafer, "Discourse Strategy: A Pragmatic Linguistic Approach." (1st edition, Benghazi: Dar Al-Kitab, 2003 AD).
10. Al-Safi, Khadija Mohamed, "Copying Grammatical Functions in the Arabic Sentence." (1st edition, Cairo: Dar Al Salam Printing and Publishing, 2008 AD).

11. Al-Zahrani, Saleh Saeed, "Diwan: This Sadness is Not Mine" From which the poem is (not published).
12. Sahrawi, Masoud, "Pragmatics among Arab Scholars." (1st edition, Beirut: Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, 2005 AD).
13. Al-Maafiri, Abd al-Malik bin Hisham, "The Prophet's Biography." Edited by: Moustafa Al-Saqqa, Ibrahim Al-Abyari, and Abdelhafeez Al-Shalabi, (2nd edition, Egypt: Moustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library and Printing Company, 1955 AD).
14. Hegazy, Mohamed Abdelwahed, "The ruins in Arabic poetry, an aesthetic study." (1st edition, Alexandria: Dar Al-Wafa for the World of Printing and Publishing, 2002 AD).
15. Hassan, Tamam, "The Grammatical Conclusion." (2nd, Cairo: Alam al-Kutub, 2004 AD).
16. Hamdawi, Jamil, "From Al-Hajjaj to the New Rhetoric." (1st edition, Casablanca: Africa East, 2014 AD).
17. Al-Asqalani, Ahmed bin Hajar, "Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari." The number of his books, chapters, and hadiths: Mohamed Fouad Abdel Baqi, (ed., Beirut: Dar Al-Ma'rifa, 1379 AH).
18. Al-Omari, Mohamed, "Arabic Rhetoric, its Origins and Extension." (1st edition, Casablanca: Africa East, 1999).
19. Ubadah, Mohamed Ibrahim, "A Dictionary of Terms of Grammar, Morphology, Prosody, and Rhyme." (1st edition, Cairo: Library of Arts, 2011 AD).
20 Abd al-Rahman, Taha, "The Tongue and the Balance or Mental Multiplication." (1st edition, Casablanca: Arab Cultural Center, 1998 AD.
21. Abdulaziz, Darat Al-Mulk, "Dictionary of Literature and Writers in the Kingdom of Saudi Arabia." (1st edition, Riyadh: Ministry of Culture and Information, 2015 AD).
22. Nahla, Mahmoud Ahmed, "New Horizons in Contemporary Linguistic Research." (1st edition, Egypt: New Knowledge House, 2002 AD).
23. Yule, George, "Pragmatics." Translated by: Dr. Qusay Al-Atabi (1st edition, Beirut: Arab House of Science Publishers, 2010 AD).

Third: Periodicals

- Al-Saydi, Mohamed, "Problem of Meaning from Metaphor to Dialogical Implication." Journal of Thought and Criticism 25, (2000 AD): 101-106.
- Al-Abd, Mohamed Al-Sayyid, "Linguistic Event Theory, Analysis and Criticism." Journal of Linguistic Studies, King Faisal Center for Research and Islamic Studies 4, (2001): 12-52.

Fourth: Websites

- Wikipedia, the free encyclopedi

ملحق الدراسة:

قصيدة: رحلة في موكب الجمال شعر: صالح الزهراني

الـــرُّؤى فـــي مـــداكَ لا أدريّـــه والمعـــاني ســـحائبٌ عطريّـــة
والحروفُ التي نمت فـــي فـــؤادي وتـــدلَّت قصـــيدةً شـــعريّة
حين حامت في أُفقِ نورِك ذابـــت فهيَ سحرٌ في هيئـــة الأبجديَّـــة
غرقت في الجمالِ خمســين عامـــاً وأحاطـــت بـــه هَـــوىً وهُويّـــة
غيـــرَ أنَّ الجمـــالَ عنـــدكَ شـــيءٌ فوق أبعادِ مـــا تعـــي العبقريّـــة
خُذ حروفي يا ســـيّدي واحتضـــنها فُـــكَّ أغلالَهـــا إلـــى الأبديّـــة
انتـــزعْ طينهـــا لتصـــبحَ طيـــرًا لا يعـــاني أثقالَـــه الطينيَّـــة
يتهـــادى هديلُـــه عربيّـــاً مـــن قناديـــل وجهِـــك الدُّريَّـــة
فعلى غُصـــنِك المهيـــبِ ستشـــدو كلَّ يـــومٍ مـــن لحنهـــا أغنيَّـــة
وســـتقفو خطـــاكَ، وهـــيَ جـــلالٌ سار يوماً فـــي التربـــة المكيَّـــة
وقفـــت حولـــك البطـــاحُ تُصـــلِّي حين لاحت بروقُـــك المطريَّـــة
غسلت وجهَهـــا، وحنّـــت يـــديها وعلى ثغرهـــا الجميـــلِ تحيَّـــة
همسُ أشجارِها، ونجوى حصـــاها قصّـــةٌ عذبـــةُ البيـــانِ، نديَّـــة
فهـــم الكـــون ســـرها فوعاهـــا والأعـــادي ألبابُهـــا حجريَّـــة
يفهـــمُ البســـمةَ المضـــيئةَ قلـــبٌ فيـــه للحـــبِّ غَيـــرةٌ وحميَّـــة
أبصر- المترفـــونَ (مكـــةَ) تُلقـــي كـــلَّ يـــومٍ عبـــاءةَ الوثنيَّـــة
فأفـــاقوا لكـــنَّهم لـــم يُفيقـــوا إذ أفـــاقوا إلاَّ علـــى فوقيَّـــة
والـــهُدى يمـــلأُ القلـــوبَ رحيقـــاً ويصفُّ الأنصارَ في مزهريَّـــة
و(قـــريشٌ) فـــي حقـــدها تتلظَّـــى وأشدُّ اللّظـــى لظـــى الجاهليَّـــة
يا أخانا خـــذ مـــا تشـــاء، فتـــأبى والتأبـــِّي طبعُ النُّفـــوس الأبيَّـــة

حـــين يُعطيـــكَ اللهُ تُحـــرمُ مـــاذا؟ وإذا مـــا حُرمـــتَ.. أيُّ عطيّـــة؟
وإذا مـــا كســـبتَ نفسَـــك يومـــاً لـــن تبـــالي أن تخســـرَ–البشـــريَّة
نشرتْ حولـك المصـائبُ جيشـاً كـلُّ شـبرٍ منهـا عليـه سـريّة
احتملـــت الأذى بصـــبرِ نبـــيٍّ صار فـــي الصـــفحِ أيـــةً كونيَّـــة
وبدأت الرحيـلَ، والـدَّمعُ يجـري ودمـــوعُ المحـــبِّ دومـــاً ســـخيّة
خلفَك الأهـلُ، والـبلادُ، وذكـرىً نارُهـا لـم تـزل بقلبِـك حيّـة
فأطلَّـت (مدينـةُ الحُـبِّ) لحنـاً واســـتطالت تـــراك كـــلُّ ثنيّـــة
(طلـع البـدرُ) فالمدينـةُ عُـرسٌ والمســـاءاتُ بهجـــةٌ قدســـيّة
ليلـةٌ فـي الزمـانِ تكتـبُ بِـدءاً لتـــواريخ حُبِّنَـــا الهجريَّـــة
وتصـوغُ الحيـاةَ فجـراً جديـداً فـي محيـاهُ بسـمةٌ (أحمديَّـة)
مـــلأ الأرضَ رحمـــةً، وســـلاماً، وحيـــاةً، وفكـــرةً وســـطيَّة
حطَّمتَ (قيصراً) وما شاد (كسـرى أين(كسرى) والدولـة القيصـريّة)
بعد هذا الضياءِ لـم يبـقَ ضـوءٌ لم يذُبْ فـي بحـارِك الضـوئيَّة
واقـــفٌ عنـــد شـــطِّها أتملَّـــى فـــي دلالات حســـنها المطويَّـــة
فيعـــودُ الخيـــالُ وهـــو حســـيرٌ وتظـــل الأفكـــارُ عنهـــا عصـــيَّة
يعجز الشعرُ أن يصـوغكَ شـعراً لُغـــةُ الحـــبّ دائمـــاً حديَّـــة
أنت يـا سـيَّدي الجمـالُ تجلَّـى للبرايـــا فـــي صـــورةٍ آدميَّـــة
فإذا ما عصـى–الكـلامُ شـعوري فـــلأنَّ الحـــروفَ منـــك حييّـــة
يفقد الحـرف فـي المقـام قـواهُ وتضـــيعُ المهـــارةُ اللّغويَّـــة
يا نشيدَ الحيـاةِ، مـا زلـتَ لحنـاً في الحنايا، وفي النفـوسِ قضـيَّة
كـلّ يـومٍ تعـيشُ فتحـاً مجيـداً لم تشـارك فـي جيشـه البندقيَّـة

كان نور الهدى يقودُ السَّرايا وسراياهُ نفحةٌ نبويِّة
غيرَ أنَّ الظلام ما زالَ حيّاً مستميتاً في حربه العبثيَّة
والضياءُ الذي تركتَ مبينٌ والعهود التي عليه قويَّة
فهي مملوءةٌ دماً، ونشيجاً، وانكسارات جيلنا النفسيَّة
صيَّرتنا الأحقادُ سبعين طيفاً كل طيفٍ في طيفه طائفيَّة
يا ضياءَ الحياةِ جئتُك أشكو من مآسي أوضاعنا الحاليَّة
طالباً من نجومِ دربك نجماً فلقد صار دربُنا أُحجيَّة
ولقد طال تيهُنا، وتعبنا كلُّنا في الذي يدورُ ضحيَّة
جئتنا رحمةً، ونوراً، وعدلاً فلماذا نعيشُها دمويَّة؟
ولماذا يريدنا الله إنساً وكثيرٌ يريدها وحشيَّة؟

مكة المكرمة ١٤٣٧/١/١هـ

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	الملخص	٣٣٤
٢-	Abstract	٣٣٥
٣-	المقدمة	٣٣٦
٤-	التمهيد	٣٤١
٥-	المبحث الأول: الإشاريات	٣٤٤
٦-	المبحث الثاني: الاستلزام الحواري	٣٦٥
٧-	المبحث الثالث: الأفعال الكلامية	٣٧٨
٨-	الخاتمة	٣٨٩
٩-	المصادر والمراجع	٣٩٢
١٠-	ملحق الدراسة:	٣٩٧
١١-	فهـرس الموضـوعـات	٤٠٠